الشعر الاجتماعي
عند محمد إبراهيم بظاظو
دراسة موضوعية فنية

إعداد الدكتور

عبد الحافظ عبد المنصف خليف

أستاذ الأدب والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية – فرع جامعة الأزهر

بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – "وبعد"

فالشعر فن العربية الأول، وأكثر فنون القول هيمنة على التاريخ الأدبي عند العرب خصوصا فى عصورها الأولى؛ لسهولة حفظه وتداوله، وقد شاركته في الأهمية بعض الفنون الأدبية الأخرى كالخطابة.

وبعد تطور الكتابة وانتشارها، واتصال العرب بغيرهم، دخلت بقية الفنون الأخرى المتمثلة في النثر بأشكاله المختلفة لتساهم جنبا إلى جنب في تكوين تراث الأدب العربي.

ويعد الشعر وثيقة يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب وبيئاتهم وثقافتهم وتاريخهم ويلخص ذلك قولهم: "الشعر ديوان العرب" ، ولما كان الأدب بعامة والشعر بخاصة ينفذ إلى أعماق الذوق والحس المرهف لدى المتلقى، لذا فلا يدرك قيمته ولا يُحس ببيانه سوى أصحاب الذوق الرفيع، والثقافة العميقة، حيث إن الأديب يشبه النحلة التي تملك الدربة الكافية لامتصاص الرحيق من ثغور الأزهار ومن ثم إعادته شهدا.

من هذا المنطلق اهتم الباحثون بالأدب العربي شعرا ونثرا في مختلف العصور الأدبية، فالأدب إذًا جهد بشري، يتفاعل مع الحياة الاجتماعية ويتأثر بهما ويؤثر فيها ويصطبغ بلونها.

لذا فقد استجاب الشعر الاجتماعي لمجريات الحياة في عصورها الأدبية المختلفة، فوقف منها موقفا إصلاحيا، دعا فيه إلى الثورة على العادات البالية القديمة التي سادت المجتمع العربي وعلقت به خلال فترات الحكم المتلاحقة عليه قبل النهضة الحديثة، وتعتبر من مخلفات الفترة المظلمة.

فدعوا إلى فتح المدارس والدعوة إلى دخولها بنين وبنات، وذم التعصب القبلي والإقطاع الذي جثم فوق صدور الناس، وانتقدوا الحياة اللاهية، والتفكك الاجتماعي والتكالب على المادة، والظواهر الاجتماعية السيئة التي تسئ إلى العقيدة والأخلاق والعادات، وتلحق بالمجتمع من الأدواء ما يقوض دعائمه، إذا تركت تعمل عملها المدمر في كيانه.

لذا أردت أن يكون الشعر الاجتماعي هو موضوع بحثي الذي قمت بدراسته عند الشاعر "محمد بظاظو" في ديوانه "فيض الشجون".

ويعد هذا البحث أول دراسة عن الشاعر "محمد بظاظو" فلم يكتب أحد عنه من قبل.

وقد جاءت خطة الدراسة مشتملة على الآتي:

أولا – التمهيد: وفيه عرضت للشاعر سيرة وحياة، متناولا نشأته وتعليمه ووظائفه، وصفاته وأخلاقه ونتاجه الشعري.

ثم ختمت التمهيد بالتعريف بمصطلحات البحث مثل: الأمة، والمجتمع، والجماعة، ومفهوم الشعر الاجتماعي.

ثانيا – الفصل الأول وعنونته: "بالدراسة الموضوعية: وفيه مبحثان. المبحث الأول. وجعلته خاصا بنقد "بظاظو" للظواهر السلبية في المجتمع من مثل: "هموم الأمة، والعداوة والخصام، وإهمال الشباب، والتقصير في زيارة المريض، والتحية، والدجل والشعوذة، وموالد الأولياء، والجريمة، والرقابة الدينية.

والمبحث الثاني "تشجيع الظواهر الإيجابية"، وفيه عرضت لتشجيع "بظاظو" للظواهر الإيجابية في المجتمع مثل "دور العلماء في المجتمع، والحث على الزواج، والإشادة باللغة العربية، والتعاطف مع الزملاء، والإنجازات التي تمت في قريته".

والفصل الثاني: عقدت فيه دراسة فنية شاملة من حيث: الشكل والمضمون، والأسلوب، والموسيقى، والعاطفة، والصورة الشعرية، والوحدة العضوية.

للوقوف على مناحي الإبداع في تصوير هذه العادات الاجتماعية، ثم كانت الخاتمة وفهارس المصادر والمراجع. ختاما لهذا البحث.

وبعد: فالله – سبحانه وتعالى – أعلم بما بذلته من جهد في هذه الدراسة المتواضعة، فإن أكن قد وفقت لما هدفت إليه فبفضل الله تعالى على وحسن توفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبى أنني لم أدخر جهدا ولا وقتا في سبيل انجاز هذا البحث، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحث

عبد الحافظ عبد المنصف خليف

" التمهـيد "

١- محمد إبراهيم بظاظو "سيرة وحياة".

٢- "مفهوم الشعر الاجتماعي".

إضاءة على حياة الشاعر

المولد والنشأة:

في قرية "سنهور المدينة" التابعة لمركز "دسوق" بمحافظة "كفر الشيخ"، ولد الشيخ الشاعر "محمد إبراهيم خليل بظاظو" في الأول من يناير عام تسعة وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد.

وكثيرا ما تغني الشاعر بقريته التي نشأ فيها، يقول عند استقباله أحد المسؤولين بقريته:

"سنهور" أشرق فيها نور طلعتكم ∴ ورفرف البشر فوق الناس

وقال قائلهم: أهلا ومرحبة ∴ بمن سعدنا به في أرض سنهور[1]

ويقول في قصيدة "لغة الكتاب":

اليوم يومك يا "سنهور" فابتهجي ∴ وهنى بطل الفصحى وراعيها[2]

ويقول في رثاء أحد أصدقائه:

بدر هوى فغدت "سنهور" مظلمة ∴ وطوق الحزن أعناق المصلينا[3]

نشأ الشاعر في أسرة كريمة، فقد كان والده يحفظ القرآن الكريم ويعشق الأدب، ويصغي إلى الشعراء في الندوات الأدبية التي كانت تقام في المحافظة،

---

(١) قصيدة "وكم شكونا فما أصغى الزمان لنا" – ديوان فيض الشجون – جمع د/ محمد محمد بظاظو ص٤١ – الأولى – سنة١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) السابق ص٣٥.

(٣) قصيدة "على يديك أطاع الله منحرف – نفسه ص٣٢.

ويقرأ كثيرا منه أمام ولده.

تعليمه:

ولما شب "محمد" عن الطوق، التحق بمكتب تحفيظ القرآن الكريم بقريته، فحفظ القرآن الكريم. وروى قلبه من بحر نوره، وهو في الحادية عشرة من عمره.

وفي تلك الأثناء خاف عليه والده من ضياع القرآن الكريم إذا التحق بالمدارس الأميرية، فاختار له الأزهر ليكون عونا وحصنا له في دينه ودنياه.

فدخل المعهد الابتدائي الأزهري بمدينة "دسوق"، الذي حصل منه على الشهادة الابتدائية عام ١٩٤٥م، ثم انتقل إلى المعهد الأحمدي بمدينة "طنطا"، وفي المعهد الأحمدي ظهر نبوغ الشاعر وتفوقه، فصار وهو صغير السن الشيخ المؤثر في خطابته، والذي يصعد المنابر ويصدح بكلمة الحق، لا يبالي بالشدائد ولا بالخطير من الأمور.

بعد حصوله على الثانوية الأزهرية، سافر إلى القاهرة ودخل كلية "أصول الدين" وحصل منها على شهادة "العالمية" عام ١٩٥٤م، ثم حصل على تخصص التدريس من كلية اللغة العربية عام ١٩٥٥م.

وظائفه:

كان الشاعر يتمنى أن يعين مدرسًا، لكن الأقدار كانت تعده لمهمة أشد، وهي رسالة الدعاة المصلحين، ورثة الأنبياء وصلة الأرض بالسماء، فعين إمامًا وخطيبًا بأحد مساجد محافظة "الفيوم" عام ١٩٥٦م،وفى سنة ١٩٥٧ م إنتقل إلى مسجد" الشهيد" ثم إلى مسجد "الملك ""بمدينة كفر الشيخ"، وفي الخامس عشر من مايو عام ١٩٥٩م انتقل إلى مسجد "ابن هارون" بقريته "سنهور المدينة".

وفي أغسطس عام ١٩٨٤م سافر للعمل إمامًا بوزارة الأوقاف بدولة "الإمارات العربية المتحدة" وظل هناك حتى أكتوبر سنة ١٩٩٥م حيث عاد إلى وطنه، وقد أحيل إلى التقاعد.

ولا يزال – مدالله في عمره – يعمل في مجال الدعوة إلى الله – سبحانه

وتعالى – كما لا يزال عطاؤه الشعري زاخرا [1].

صفاته وأخلاقه:

إن الذي يقترب من شاعرنا يجده رجلا لطيف المعشر، حسن السيرة، محمود الصفات موزون التصرفات، هادئ الطباع، تبدو عليه ملامح الرجولة بما تنطوي عليه هذه الصفات من معان فياضه تغنينا عن الدخول في التفاصيل.

فهو دمث الخلق ودود. يحب الناس، صاحب مروءة وشهامة، نراه يواسي بكلماته المكلوم، يقول معترفا بتقصيره في زيارة أحد أصدقائه في مرضه الأخير:

مات الإمام ولم نسعد برؤيته ∴ فأين كنا؟ ويا سحقا لنا دينا

ماذا جرى حين أهملنا زيارته ∴ هل افتقرنا؟ وهل ضاقت أيادينا؟

لا، لا ولكن هو التقصير في رجل ∴ لطالما كان في لطف يواسينا [2]

ويشارك بأنغامه الفرح الجذلان، يقول في تهنئة أحد تلاميذه بالزواج:

أشْرِقْ علينا باسما وسعيدا ∴ وانْثُرْ على وجه الزمان ورودا

وسط الكواكب خذ مكانك عاليا ∴ ولسوف تبدو واضحا وفريدا

إن فاخر البدر المضئ بنوره ∴ فافخر بمجدك عالما ومجيدا

وعلى هدى من ديننا وكتابنا ∴ عُقد القران وكان يومك عيدا

من حولك الإخوان رفرف ∴ عَلَم السرور مطرزا وجديدا

أهلا بهم والبشر فوق وجوههم ∴ سعداء جاءوا يبتغون سعيدا [3]

في شاعرنا صفة "الوفاء" واضحة جلية في العديد من قصائده في ذكرى

---

(١) ديوان – فيض الشجون – ص٩٤.

(٢) قصيدة "علي يديك أطاع الله منحرف – فيض الشجون – ص٣٢.

(٣) قصيدة "السعد ألف منكما عنوانه" –السابق– ص٣٤.

ورثاء، وتتجلى صفة "الوفاء" في حديثه عن الكثير من أصدقائه وتلاميذه، يقول في ترقية أحد أصدقائه:

هنـأت نفـسي إذ غـدوت مـديرا ∴ وشـكرت مـن قـد أحـسن التقـديرا

هــم أســندوا الــدعوى لخيــر ∴ وتخيــروا كفئًــا لهــا وخبيــرا

أنعــم بــه مــن عــالم ومعلــم ∴ قــاد الــدعاة موجهــا ومــشيرا

شــهد الجميــع بعلمــه وبفــضله ∴ واستبــشروا فرحــا بــه وســرورا (١)

ويقول مادحا أحد أصدقائه معترفا بأستاذيته له:

فـاض الـسرور وعـم البـشر نادينـا ∴ وأتحــف الأنــس قاصــينا ودانينــا

باسـمي وباسـم جميـع الحاضـرين ∴ أهـدى لأسـتاذنا أسـمى تهانينـا (٢)

ويقول في رثاء الشيخ "بسيوني خطاب":

يا عالما فـاق فـي علـم وفـي خلـق ∴ يــا عابــدا قــاد أفــواج المــصلينا

الحــق مبــدؤه والله غايتــه ∴ إيمانــه قــوة كانــت تغــذينا

يـدعو إلـى الله والتوفيـق يـصحبه ∴ ويكشف الزيـف لا يخشى الشياطينا

بــالله ذكرنــا بالــدين مــسكنا ∴ وبالجهـاد وحـب الحـق يوصـينا (٣)

---

(١) قصيدة "وتجردوا كي تحسنوا التأثيرا" —نفسه– ص٢٣.

(٢) قصيدة" لو كنت بالمال تشرى" –نفسه – ص٣٠.

(٣) قصيدة "قد كرموك فكانوا مكرمين لنا" – نفسه – ص٣٧.

موهبته الشعرية:

نشأ الشاعر في أسرة ريفية محافظة على التقاليد الدينية الموروثة، فالأب على الرغم - من عمله بالزراعة – إلا أنه يحفظ القرآن الكريم، ونال قدرا كبيرا من التعليم في الأزهر الشريف، ويؤدي الشعائر الدينية، ويعشق الصوفية ويتبع نداوتها – وكذلك بقية الأسرة، فنشأ "محمد" في ظل هذا الجو الديني فتشبع به، ولم يلبث بعد أن أتم عامه السابع أن التحق بمكتب تحفيظ القرآن الكريم بالقرية، فحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر، وهناك تفتحت أمامه أفاق واسعة فصقل الجانب الدينى عنده بدراسة العلوم الشرعية ، ولقائه بالشيوخ الأجلاء وظهرت موهبته الشعرية ، فبدأ يصقلها بقراءة الدواوين الشعرية القديمة أمثال: "النابغة الذبياني"، و "عنترة"، "وابن زيدون" وغيرهم. والمراجع الأدبية أمثال: "الكامل، و "العقد الفريد"، "والبيان والتبيين"، و "الأمالي"، و" زهر الآداب"، وغيرها.

والتقى بأساتذة الأدب وعرض عليهم أشعاره، ويذكر الشاعر أن من أوائل القصائد التي ألقاها "كانت وهو في الصف الرابع الابتدائي عام ١٩٤٤م، وكان شيخ المعهد آنذاك الشيخ "محمد أحمد العروسي"، قد فصل أحد عشر طالبا من زملاء الشاعر بسبب غياب الطلاب قبل نهاية العام الدراسي للمذاكرة كما تعود الأزهريون، ورفض شيخ المعهد عودتهم قبل امتحان نهاية العام، فقام زملاؤهم بمظاهرة للمطالبة بعودتهم، وهنا أنشد شاعرنا قصيدة يمدح فيها شيخ المعهد ويرجوه عودة الطلاب قبل الامتحان. يقول فيها:

يا شيخ معهدنا وموضع فخرنا ∴ يا عالما قد خص بالإتقان

لي عندكم طلب أريد قضاءه ∴ فانظر إلى برحمة وحنان

واعطف فإن العطف فيك سجية ∴ فعلى المسيء تفيض بالإحسان

يا سيدي إني نظمت قصيدتي ∴ أرجوك فيها العفو عن إخواني

وهم الألى طردوا وطال غيابهم ∴ عنا، وقد ندموا على العصيان

قالوا جميعا ليتنا لم نتبع ∴ طرق الخلاف وشرعة الشيطان

فكفــاهم الحرمــان تأديبــا لهــم ∴ فــارفق بهــم يــا عــالي البنيــان

واشفق عليهم إنهم عزموا على ∴ تــرك الهــوى وتجنــب الهيجــان

لا شــك أنــك أنــت أهــل للرجــا ∴ ولــذا رجوتــك ناطقــا بلــسان

والله يبقــيكم ويرفــع قــدركم ∴ ولكــم أردد آيــة الــشكران[1]

وفي عام ١٩٥٠م، انتقل "محمد" إلى القاهرة حيث التحق بكلية أصول الدين، وهناك ازدادت صلته بالندوات الأدبية التي كانت تقام في جمعية الشبان المسلمين، والشبان المسيحيين، والتقى بالشعراء "خالد الجرنوسي"، "وعبد الله شمس الدين"، و "محمد التهامي"، و "محمود جبر" وغيرهم.

وفي تلك الأثناء عاصر أحداثا وطنية وقومية ساخنة، أمثال: الاحتلال الإنجليزي، وحرب فلسيطن عام ١٩٤٨م، وثورة يوليو عام ١٩٥٢م، والعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، والوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م، وهزيمة يونيو عام ١٩٦٧م، ونصر اكتوبر عام ١٩٧٣م، وغيرها من الثورات العربية، والأحداث الوطنية التي عاصرها.

بالإضافة إلى مشاركته في العمل الاجتماعي النابع من رسالته الإصلاحية كإمام وخطيب بوزارة الأوقاف.

اجتمعت كل هذه الروافد لتصب في حياة شاعرنا، والذي تفاعل معها بصدق وإيجابية، وموهبة فطرية أصيلة، فكانت الشاعرية الصافية العذبة التي تمثلت في "محمد إبراهيم بظاظو".

نتاجه الشعري:

للشاعر ديوان واحد مطبوع بعنوان "فيض الشجون" جمعه ولده الأستاذ الدكتور "محمد محمد بظاظو" طبعة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، وقد صرح في مقدمة

---

(١) من حديث مع الشاعر بتاريخ : ١٥-١-٢٠١٣م ، والقصيدة فى ديوان فيض الشجون –ص٢٦.

ديوانه بأن كثيرا من أشعار المرحلة الأولى من حياة الشاعر قد ضاع" وهو يقارب ما بقى من شعر المراحل الأخيرة"[1].

(١) فيض الشجون – ص٨.

مفهوم الشعر الاجتماعي

يحسن بنا قبل أن نلج إلى الشعر الاجتماعي عند الشاعر "محمد إبراهيم بظاظو"، أن نذكر شيئا مما تدعو الحاجة إليه فيما يتصل بمفهوم المجتمع ولفظ الجماعة والأمة، ليكون بمثابة توطئة يسيرة لما بعده.

أولا – تعريف المجتمع:

مما لا يخفى أن لفظ المجتمع مشتق من جمع، فالجمع: ضم الأشياء المتفقة، وضده التفريق والإفراد، وقد أحسن "ابن منظور" حين قال في بيان معنى هذه اللفظة: "تجمع القوم: اجتمعوا من ها هنا وها هنا"[١].

وحين ننظر في دلالة لفظ المجتمع من حيث هو مصطلح، فإننا نجد أن المجتمع هو: "عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية، ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك، وسلطة ترعاها"[٢].

ثانيا: تعريف الجماعة:

أما الجماعة فهي: الطائفة من الناس يجمعها روابط فأكثر، كالقرابة أو الجنس.

والجماعة بهذا المفهوم جزء من مكونات المجتمع، في حين أن مفهوم الأمة أوسع وأشمل وبخاصة في ضوء المنظور الإسلامي.

ثالثا: تعريف الأمة:

---

(١) لسان العرب – جمع ٤٠٤/٩ = دار إحياء التراث العربي – بيروت – الثانية – ١٤١٨هـ.

(٢) علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي = د/ مصطفى شاهين – ص٤٣ – الأولى ١٩٩١م، وينظر أيضا: المجتمع والأسرة في الإسلام – د/ محمد طاهر الجوابي – ص١٢ – دار عالم الكتب – الرياض – الثالثة – ١٤١٢هـ.

تعرف الأمة بقولهم: "كل جماعة يجمعهم أمرما، إما دين واحد، أو زمان أو مكان واحد، سواء كان هذا الأمر الجامع تسخيرا كالجنس واللون، أم اختيارا كالمعتقد والأرض"[١].

ويتعذر قبول هذا التعريف للأمة على إطلاقه، لأنه يجعل العوامل والأسباب المادية والدنيوية كالأرض والجنس من مقومات الأمة، وهذا مالا يقره الإسلام مع اعترافه بأن لها أثرا إيجابيا، إلا أنها لا تقوى على تكوين أمة واحدة، إما لضعفها كالأرض، وإما لضيقها كالقرابة.

ويمكن تعريف الأمة الإسلامية في ضوء دلالات النصوص الشرعية بأنها "جماعات من الناس تجمعهم عقيدة الإسلام، بغض النظر عن أي اعتبار" ويشهد لهذا القرآن الكريم بقوله تعالى: **{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}**[٢]، وقوله تعالى: **{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}**[٣].

مفهوم الشعر الاجتماعي:

وبناء على ما سبق من تعريفات يمكن أن نعرف الشعر الاجتماعي بأنه "الشعر الذي يرصد الظواهر الاجتماعية البغيضة والحسنة والدخيلة في المجتمع، والأمراض الأخلاقية، وينادي بالثورة عليها ويدعو إلى تطهير المجتمع منها وتحسين وإبراز المحاسن، ليتدارك المجتمع ما أصابه وأصاب أفراده حتى يعود إلى الشيم الأصيلة وما يطلبه الإسلام من سلوكيات حميدة.

---

(١) الكليات – أبو البقاء الكفوي – ص١٧٦ – مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى ١٤١٢هـ وينظر أيضا: القاموس السياسي – أحمد عطية الله – ص١٢٢ – دار النهضة المصرية الثانية – سنة١٩٨٦م.

(٢) آل عمران (١١٠).

(٣) المؤمنون: ٥٢.

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية

المبحث الأول: نقد الظواهر السلبية

هموم الأمة

منذ العصر الجاهلي والشعراء يحملون هموم أممهم على عواتقهم من واقع رسالتهم الأخلاقية إلى مجتمعاتهم في محاولة منهم لتقويمه وإصلاحه.

فهم يدعون إلى الاتحاد ووحدة الصف في مواجهة الأعداء، كما ترى عند شوقي في قوله:

ونحن في الشرق والفصحى ∴ ونحن في الجرح والآلام إخوان [1]

"ومحمد بظاظو" من المثقفين والوطنيين، يتطلع إلى اليوم الذي تلتقي فيه الأمة على هدفها الأثير وهو الوحدة، لأنه يؤمن أن الأرض العربية هي وطن واحد، فنراه يستنهض الأمة من كبوتها، ويدعوها إلى الوحدة ونبذ الخصام في قوله:

يا أمة القرآن لا تتفرقوا ∴ فكفى خلافا بيننا وكفاك

عودوا إلى القرآن واعتصموا به ∴ وتماسكوا وادعوا للاستمساك

فبدون وحدة صفكم لن تنصروا ∴ فإذا جهلت فأنت ما أشقاك

ويشخص الداء ويصف الدواء في قوله:

أوليس يكفي في خداع شعوبنا ∴ ما مر من فشل ومن إخفاق

"الأمر كان" هم العدو ومالهم ∴ عند الأعادي جاهز لهلاك

والعون منهم لعبة وخديعة ∴ جلبت لنا ما ضرنا وأذاك

إن فاوضونا راوغوا وتلونوا ∴ حتى ينالوا من نسيم هواك

دول الصليب تقاربت وتوحدت ∴ وغدت مسيطرة على الأفلاك

وغزت شعوب الشرق في ∴ وبنت لهم سورا من الأشواك

زرعوا الخلاف بها فساء ∴ وتعرضت للضعف والإنهاك

---

(١) الشوقيات – ٩٣/٢ ط/ مكتبات التربية – بيروت.

يـا أمـة شـرف الزمـان بمجـدها ∴ لـولاك مـا عـرف الهـدى لـولاك

هبـى مـن النـوم العميـق وأيقظـى ∴ كـل الـشعوب وأنقـذى مـسراك

لـو كـان شـعبك مؤمنـا وموحـدًا ∴ لأتـى خـصومك يبغـون رضـاك

لا تخضعوا أبدا لفرض شروطهم ∴ فعقـــولهم مـــشدودة بـــشباك

عيـشوا رجـالا مـؤمنين أعـزة ∴ قولـوا لأرض القـدس لـن ننـساك

سيروا على الضرب الصحيح وجاهدوا ∴ **وتـــسلحوا بـــالعلم والإدراك**

ومنذ أن ظهرت مشكلة "فلسطين" على الساحة العربية، مؤذنة بخطر داهم يهدد العرب جميعا، انفجرت قرائح الشعراء تطالب الزعماء العرب أن يهبوا لنجدة فلسطين، ويعيدوا الحق لأصحابه.

وكلما عادت الذكرى تجدد الأمل في نفوس الشعراء بعودة "فلسطين" إلى أهلها، فيناشدون الزعماء العرب أن يسارعوا لتحرير القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين.

"ولشاعرنا" في ذكرى "فلسطين" قصيدة، يندد فيها باليهود الذين استأسدوا وتنمروا وتبجحوا، وهدموا البيوت، وقتلوا الأطفال والشيوخ، يقول فيها:

مـاذا دهـاك ومـا الـذي يغـشاك ∴ يـا أرض الاستـشهاد نحـن فـداك

إن اليهـود استأسـدوا وتنمـروا ∴ فـــي ظـــل كـــل منـــافق أفـــاك

هدموا البيوت ودمروا وتبجحوا ∴ مـــستهزئين بكـــل مـــن واســـاك

قتلوا الألوف كأن شيئا لم يكن ∴ أكـذا يهـان الحـر فـوق ثـراك؟

ثم يبين الموقف المخزي للزعماء العرب من القضية، فلم يقدموا العون والمساعدة للفلسطينين وإنما اكتفوا بالشجب والتنديد، وصياغة المبادرات الموهومة التي يخفون عجزهم وراءها، وذلك في قوله:

يـا قـدس إن المـؤمنين هـم الأُلـى ∴ سيــصعدون الحــرب ضــد عــداك

أبطالــك الأحــرار خــاب رجــاؤهم ∴ فينـــا وزاد البغـــى فـــوق ثـــراك

مــاتوا عطاشــا لا غـذاء ولا دوا ∴ ودعــوا فمــن منــا أجــاب دعــاك؟

نـادوا فلـم يـسمع لـصوتهم صـدى ∴ صـرخوا فمـن منـا سـعى فـسقاك؟

شــجب وتنديــد وتلــك بــضاعة ∴ رخـصت وعنـد الـشعب مـا أغـلاك

صــاغوا مبــادرة لتــستر عجـزهم ∴ وليـصرفوا الأنظـار عـن قـتلاك (١)

وبعد أن وصف الداء، ذهب ليحدد معالم الطريق الصحيح الذي من سار عليه اهتدى وهو: أن تفيق الشعوب من سكرتها وتعود مرة أخرى إلى كتاب الله – سبحانه وتعالى – وسنة نبيه – ﷺ -، وأن يردوا إلى الإسلام كل أمورهم فهو العلاج من الخنا والزور.

يقول:

ياليت شعرى هل تفيق شعوبنا ∴ ممــا بهــا مــن ســكرة وشــرور؟

عودوا إلى القرآن واعتصموا بـه ∴ وبـــسنة الهـــادي وبالمـــأثور

ردوا إلــى الإســلام كــل أمــوركم ∴ فهــو العــلاج مــن الخنــا والــزور

إن تنصروا الرحمن ينصر شعبكم ∴ بالرعب يسبق ضربة الجمهور (٢)

ثم يستشهد على ذلك بأن الشعوب عندما تمسكت بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ كان النصر حليفهم فى حرب العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ، وذلك في قوله:

---

(١) جراح القدس – فيض الشجون – ص١٣.

(٢) ورفعت أعلام الهداية – فيض الشجون – ص٢٤.

عبـروا نهـارا هـا تفـين بـربهم ∴ يـــا رب أنـــت الناصـــر القهـــار

الله أكبـــر صـــيحة دوى بهـــا ∴ صـوت الجنـود فـدمروا وأغـاروا

دكـت مـدافعهم حـصون عـدوهم ∴ فتحـــررت أرض وعـــز جـــوار [1]

(١) والعيش في ثوب المذلة عار – السابق – ص٢٧.

إن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم إصلاحا لدينهم ودنياهم، فباجتماعهم يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح ما لا يمكن عدها من التعاون والتكانف والتلاحم والقوة والهيبة أمام أعدائهم. كما أنه في الافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى لمصلحته الشخصية، ولو أدى ذلك إلى الضرر العام.

يقول شوقي محذرا من ذلك:

إلام الخلف بينكم إلاما ∴ وهذه الضجة الكبرى علاما

وفيم يكيد بعضكم لبعض ∴ وتبدون العداوة والخصاما (١)

ولقد أمرنا ربنا – سبحانه وتعالى – وأوجب علينا في كتابه الكريم أن نجتمع ونتعاون، ونبتعد كل البعد عن أسباب الشقاق والنزاع والتفرق، قال تعالى: **{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا }**(٢) وقال تعالى: **{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ }**(٣).

ومن هذا المنطلق نرى شاعرنا يحذر من تفكك المجتمع وانحلال عراه بسبب الخلافات العائلية، وصراعات المصالح، والتنازع على المناصب، فيقول تحت عنوان "وإذا أراد الله عز مدينة:

مضت الشهور ومرت الأعوام ∴ وبنوا المدينة في البيوت نيام

فإلى متى سيظل يحكمنا الهوى ∴ وتسودنا الأحقاد والأوهام؟

---

(١) الشوقيات – ٢٠٣/٢ –مكتبة التربية – بيروت .

(٢) آل عمران (١٠٥).

(٣) الأنفال (٤٦).

مـن حولنـا كـل الـبلاد تقـدمت ∴ ورجالنـا عـن حقهـم قـد نـاموا

"سنهور" أنت الآن أضعف قرية ∴ مـع أن أهلـك طيبـون كـرام

ضـعفت قيادتهـا فـساء مـصيرها ∴ وغـدت كـأن رجالهـا أيتـام

قـالوا خـلاف أصـله عمديـة ∴ مـن أجلهـا افترق الجميـع وهـاموا

فالشاعر يرجع ضعف قريته وتأخرها عن القرى المجاورة لها، بسبب الخلاف بين أهلها حول منصب "العمدة" ومن يستحقه؟، فقد انشغل الناس حول المنصب وسادت بينهم العداوة والبغضاء، وتركوا حقوق قريتهم حتى ضعفت القرية وساء مصيرها.

وفي أثناء الخلاف بين الناس، تظهر طائفة "النمامين" الذين يسعون للتفرقة بين الناس بما يفسد قلوبهم ويقطع صلاتهم، ويذهب بمودتهم.

يصف الشاعر هذه الطائفة من الناس في قوله:

وأطـل أهـل الـسوء مـن أوكـارهم ∴ مـن ثـوب مـن هـم نـاصـحون عظـام

باسـم النـصيحة ينفثـون سمومهم ∴ ويرجـون الـشر حيـث أقـاموا

نـصحوا فمـا صـدقوا وسـاء ∴ وتفـرق الأبنـاء والأعمـام

وإذا القلوب على الصفاء تعارفت ∴ وتقاربـت مـستهم الآلام

وإذا تـراهم أعجبتـك جـسومهم ∴ والثغـر مـنهم ضـاحك بـسام

يفضح الشاعر هذه الطائفة من الناس التي تظهر في صورة النساك العباد الساعين إلى الخير والصلح بين الناس، وهم في الحقيقة أفاكون منافقون كأنهم حيات قاتلة، وثعابين سامة، ذوي وجوه متعددة يتلونون كالحرباء بحسب الموقف الذي يريدونه، لا يستريح لهم بال حتى يفسدون كل علاقة طيبة، ويقطعون كل آصرة موصولة، ويقلبون النهار ليلا، والصلة قطيعة، قال عنهم المولى - سبحانه وتعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ**

وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}[١].

وحذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من أمثال هؤلاء فقال: "تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"[٢].

وقال – صلى الله عليه وسلم -: "لا يدخل الجنة نمام"[٣].

وفي نهاية القصيدة نرى رسالته الإصلاحية تظهر في بيان المرجعية التي يعتمد عليها عند كل نزاع، وهي مبادئ الدين وأصوله، والتي عليها المعول في كل إصلاح اجتماعي، يقول موجها وناصحا ومرشدا:

ولقد وقفت مناديا وموجها ∴ لا تسرفوا إن الخصام حرام
ما بالنا ننسى مبادئ ديننا ∴ وكتابنا فيه هدى وسلام؟
الحق بالسلطان ينصر دائما ∴ وبدونه قد يمرض الإسلام
وإذا أراد الله عز مدينة ∴ جعل الخيار بها هم الحكام [٤]

---

(١) البقرة (٢٠٤ – ٢٠٦).
(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) فيض الشجون – ص٢٩.

إن مسئولية تربية وتوجيه الشباب تقع على عاتق الجميع، لأنها قضية إنسانية يجب أن يساهم فيها كل من له علاقة بشكل أو بآخر بالشباب، ومن أجل إرشادهم وتمكينهم من تحقيق ذواتهم، لابد من الاطلاع الكافي على مشاكل الشباب وظروفهم.

ولذا يجب توظيف طاقات الشباب، ومنحهم مكانتهم الحقيقية في المجتمع، وإعدادهم وتأهيلهم لاستلام المناصب الحساسة، ومن هنا كان اهتمام الشاعر بهذا المحور الأصيل لرسالته، فنراه يوصى كثير من زملاءه المدرسين أن يهتموا بالشباب، فيقول لأحدهم:

ربوا الشباب على الأخلاق ∴ بالدين واستمسكوا بالحق والنور

وابنوا على العلم والإيمان ∴ وطهروا أرضكم من كل مأجور (١)

فتربية الشباب يجب أن تكون على أسس سليمة، وفي مقدمة هذه الأسس الدين وفرائضه وسننه التي نبه عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – بالإضافة إلى التحلي بالموازين الأخلاقية، لأنه لا يمكن للحياة الاجتماعية أن تدوم دون الاهتمام بالأخلاق، ورعاية الأعراف الاجتماعية.

والتربية الصحيحة تمكن الشاب من مواجهة الانحرافات والمآزق وتمنحه الثقة بالنفس لمواجهة مشاكل الحياة.

والشاب الذي تربى تربية سليمة، لن يجد ثمة مشاكل في حياته الاجتماعية، وفي تعامله مع الآخرين، ولن يجد صعوبة في تحقيق استقلاليته.

---

(١) وكم شكونا فما أصغى الزمان لنا – فيض الشجون – ص٤١.

وفي قصيدة أخرى نراه يوصي مربيا آخر أن يهتم بثقافة الشباب ويجمع صفهم، ويملأ فراغهم بالعمل والتوحيد، يقول:

ثقف شباب الجيل واجمع صفه ∴ واملأ فراغ قلوبهم توحيدا

أدرك شباب العصر إن حياته ∴ أضحت فراغا قاتلا ومبيدا (١)

وذلك لأن مشكلة الفراغ تسبب العديد من المشاكل الاجتماعية، ومنها تفكك علاقة الشاب مع أهله وجيرانه، فيصبح بالتالي غير محبوب من قبل الجميع، وذلك بسبب تغير شخصيته وانحرافها عن الجادة الصحيحة.

فيستمر الشاب في هذا الطريق لأنه وجد نفسه أمام مشكلتين وهما: الفراغ، وتخلي الأحباب عنه، فيقوم حينئذ بالبحث عن بديل فلا يجد غير رفقاء السوء الذين يشجعونه على هذا الطريق، الذي يشتت تفكيره، ويبعده عن ذكر الله – عز وجل -، فيكون من الصعوبة بمكان حل هذه المشكلة في هذه الحالة بسبب التكاسل والخلود للراحة، وعدم المبادرة في البحث عن عمل.

وفي قصيدة أخرى نراه يوصى أحد زملاءه المبعوثين إلى العراق أن يهتم بالشباب ويوصيهم أن يحافظوا على التراث، ويتسلحوا بالعلم النافع، ويحموا العقيدة، وينشروا التوحيد، يقول:

قد أوفدوك إلى العراق معلما ∴ تهب اليقين وتمنع التقليدا

قل للشباب إذا التقيت بجمعهم ∴ صونوا التراث وقاوموا التهديدا

وتسلحوا بالعلم والتزموا الهدى ∴ واحموا العقيدة وانشروا التوحيدا

---

(١) السعد ألف منكما عنوانه – السابق – ص٣٤.

(٢) سر يا خطاب إليه – فيض الشجون – ص٤٥.

فالشباب يشبهون بالأرض الخصبة يحصد منها ما يزرع فيها، لذا يجب أن يتم زراعتها بشكل صحيح وسليم قبل أن يستغلها الآخرون.

كما أن توجيه الشباب نحو الخير والفلاح لا يتم إلا بإبراز المحبة والاهتمام والاحترام، والتعامل معهم كأصدقاء.

إن زيارة المريض وتفقد حاله، حق من حقوق المسلم على المسلم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"(١).

وزيارة المريض لها فوائد كثيرة، منها ما يعود على المريض، ومنها ما يعود على الزائر.

فمن الثمرات العائدة على المريض. أنها تذكره بنعم الله عليه، وترسم الابتسامة، وتفتح له باب الأمل في الحياة مما يرفع قابليته لتقبل العلاج، وتزيد الألفة والمحبة بين المريض والزائر، والتعلق بالله – سبحانه وتعالى -، ونبذ اليأس، وتلقينه الشهادة إذا كان في حالة الاحتضار.

أما عند الزائر فتعود عليه بفوائد كثيرة منها: أنها سبب في كتابة العائد من الجنة، فعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة: من عاد مريضا، وشهد جنازة، وصام يوما، وراح يوم الجمعة، وأعتق رقبة"(٢).

وهي سبب في مغفرة الذنوب، فعن معاذ – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "من كان صائما، وعاد مريضا وشهد

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بليان الأمير/ علاء الدين علي بن بليان الفارسي – حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤط – ك – الصلاة – ب صلاة الجمعة ٦/٧ – ح رقم ٢٧٧١ – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثالثة – سنة ١٤١٨هـ سنة ١٩٩٧م.

جنازة، غفر له من بأس إلا أن يحدث من بعد"[1].

فهذه الفضائل وغيرها تملأ قلب المسلم رغبة في زيارة إخوانه المرضى، ومن قصر في زيارة المريض حرم من هذا الأجر الكبير، ومن أجل ذلك نرى شاعرنا ينتقد هذا السلوك الخاطئ وهو التقصير في زيارة المريض، فيقول:

مات الذي كان بالأمس القريب ∴ يؤمنا وإلى الخير يهدينا

فاضت إلى الله روح أنت صاحبها ∴ مقرها هو فردوس المحبينا

إن غاب عنا فما غابت مآثره ∴ وتلك آثاره قد خلدت فينا

إن متَّ في إحدى الحجرات ∴ فأنس ربك خير من مساعينا

مات الإمام ولم نسعد برؤيته ∴ فأين كنا؟ ويا سحقا لنادينا

ماذا جرى حين أهملنا زيارته ∴ هل افتقرنا وهل ضاقت أيادينا؟

لا، لا ولكن هو التقصير في رجل ∴ لطالما كان في لطف يواسينا [2]

يتخذ الشاعر من وفاة الشيخ "عزام" صديقه الذي توفى وحيدا في أحد المستشفيات ذريعة لنقد هذا السلوك الخاطئ، ويتوجه باللوم والعتاب إلى نفسه وإلى أصحاب الشيخ الذين قصروا في زيارته ويقول لهم: هل افتقرنا ولم يكن معنا ثمن المواصلات التي تنقلنا لكي نذهب لزيارته في مرضه؟ وهل ضاقت أيادينا عن ذلك؟

---

(١) المسند للإمام أحمد بن حنبل – إشراف – د/ سمير طه المجذوب – إعداد/ محمد سليم إبراهيم سمارة وآخرون – ٤/٤٦٥ – ح رقم/ ١٥٣٣٨ – ط/ المكتب الإسلامي بيروت – الأولى – سنة ١٩٩٣م.

(٢) على يديك أطاع الله منحرف – فيض الشجون – ص٣٢.

ثم يتوجه بالحديث إلى صديقه ويذكر: أنه كان وفيا ودودا يؤمنا في الصلاة، وإلى الخيرات يهدينا، ويشارك الأهل والأصدقاء في الأفراح والأتراح.

ثم يقول له: إذا كنا قد قصرنا في زيارتك فأنس ربك وفردوسه خير من مساعينا وزيارتنا لك.

التحية

إن المجتمع المسلم الذي شاد القرآن الكريم صرحه الشامخ، وأرسى لبناته وقواعده نبينا المصطفى – صلى الله عليه وسلم – كان مجتمعا فريدا في كل شيء، فهو مجتمع له أدب فريد، مع الله – سبحانه وتعالى – يقوم على أساس العبودية لله – عز وجل – امتثالًا عمليا لقوله – عز وجل: { قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[1].

وهو مجتمع له أدب فريد مع نفسه، تصان فيه الحرمات، ولا تنتهك فيه الأعراض، ولا تتبع فيه العورات.

وهو مجتمع له أدب فريد مع الغير، فهو يدعو إلى الرحمة والتسامح، وهذا المجتمع النظيف المتسامح له شعاره الخاص في التحية التي أقرها الإسلام فقال تعالى: { وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا }[2].

والتحية هي: "السلام"، والسلام هو تحية أبينا آدم عليه- الصلاة والسلام -، وتحية ذريته من بعده، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "خلق الله آدم على صورته ستون ذراعا، فلما خلق الله، قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[3].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على

---

(١) الأنعام (١٦٢ – ١٦٣).
(٢) النساء (٨٦).
(٣) متفق عليه.

شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[1].

فالسلام هو تحية الإسلام، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يسلم على الناس جميعا حتى الصبيان، ولكن أكثر المسلمون في عصرنا هذا- قد استعاض عن هذا السلام الشرعي الجليل الجزيل الأجر بكلام حقير ضئيل لا قيمة له ولا أجر فيه.

ينبه على ذلك شاعرنا منتقداً هذا السلوك الخاطئ في قوله:

قالوا: "بنسوار" أو "بنجور" ∴ لا تعبثوا وكفى جهلا وتسفيها [2]

تحية الدين أولى يا شباب بكم ∴ لا تهجروها وعادوا من يعاديها

فالشاعر يرفض التحية الدخيلة علينا من اللغات الأخرى التي ينطق بها الشباب في مجتمعاتنا، ويدعوهم إلى نبذها والعودة إلى تحية الدين التي أمر بها المولى – سبحانه وتعالى -، وأقرها الرسول – صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) لغة الكتاب – فيض الشجون – ص٣٥.

تستشرى في المجتمعات العربية ظاهرة السحر والشعوذة والدجل وقراءة الفنجان والكف، وغيرها من وسائل كثيرة يحتال بها البعض على كثير من البسطاء الذين يتربصون بأي بارقة أمل تنير لهم الدرب، وتزيل عنهم الكرب، وتريحهم من الهم والغم، وخاصة المرأة التي تلجأ في كثير من أمورها الحياتية إلى الدجل والسحر بحثا عن حلول لمشكلات راسخة في العقول، أو مرض استعصى على الطب.

كما أن الظروف الاجتماعية في القرى التي تتميز بالفقر وانتشار البطالة، وارتفاع نسبة العنوسة، وانتشار الأمراض البيئية وتخلف الطب، جعلت المجتمعات مهيأة لتقبل انتشار المشعوذين والسحرة كالطفيليات. ومن هنا يأتي الواجب العظيم في تكثيف الحصانة العقدية الإيمانية ضد هذه الأعمال الشيطانية، كما أن الواجب يحتم علينا القضاء على هذه الفئات الضالة، لما تمثله من خطر على الأمة، وإخلال بأمن المجتمع، وإفساد لعقائد الأمة، واستهانة بعقولهم، وابتزاز لأموالهم. ولقد رأى الشاعر أن من رسالته الكشف عن هذه الفئة الضالة وتحذير الناس منهم، فقال:

جعلوا العصاة لرب العرش ∴ وألبسوهم من التقديس جلبابا
فتركهم لأداء الفرائض مكرمة ∴ وقبح أفعالهم نلقيه محبوبا
نخاف منهم ونخشى بأسهم ∴ فيهم رجالا أعزاء وأقطابا
يا ويح مسلم "سنهور" ∴ إن خاف بعد كتاب الله مجذوبا
سنفضح الزور مهما كان قائله ∴ وسوف نبعث حقا كان محجوبا

يفضح الشاعر هذه الفئة الضالة التي تستر باسم الدين، وتدعى الغيب في خداع البسطاء والسذج من الناس، والناس ينخدعون فيهم ويعتقدون أنهم يعلمون الغيب، ويخافون منهم ويخلعون عليهم هالة من الرفعة والتقديس.

(١) سنفضح الزور – فيض الشجون – ص٢٢.

ثم ينصح الشاعر البسطاء من الناس، بأن هذه الفئة من الناس كذابون غشاشون محتالون، وإن تصديقهم بأنهم يزعمون الإخبار عن الغيبيات وأن لهم قوة خارقة يستطيعون من خلالها جلب شيء من السعد أو النحس أو الضر أو النفع لهو ضلال عظيم، وإثم مبين، فعلم الغيب مما استأثر به الله وحده – سبحانه وتعالى – قال – عز وجل: **{ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}**(١).

وقال – صلى الله عليه وسلم -: "من أتى عرافا فسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوما"(٢).

وأخرج الحاكم وأهل السنن من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –".

وقد عد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – السحر من السبع الموبقات – أي المهلكات – كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة - **رضي الله عنه** -

---

(١) النمل (٦٥).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

هي ظاهرة عميقة تمتد جذورها في تاريخ المصريين والعرب وحاضرهم سواء على المستوى الفكري أو الاجتماعي، ويثور الجدل حولها ما بين المؤيد والمعارض فيما يتعلق بزيارتها أو حلقات الذكر التي تقام عندها، لأسباب بعضها ديني والآخر اجتماعي.

ويقصد بها: تلك المناسبات التي تقام للاحتفال الديني بيوم مولد أو وفاة ولي من أولياء الله الصالحين، والغرض من هذه الاحتفالات تكريم صاحبها، وقد تستمر هذه الاحتفالات لأيام أو تصل لأسابيع عدة، كما في مولد "الحسين" و السيدة زينب - رضي الله عنهما -.

وشاعرنا على الرغم من أنه يعيش في بلد كثرت فيه مقابر الأولياء أمثال "إبراهيم الدسوقي"، و "ابن هارون"، إلا أننا نراه ينكر هذه الاحتفالات وما يحدث فيها، يقول مصورا. احتفال قريته بمولد "ابن هارون":

"سنهور" ها هي قد أقامت حفلة ∴ لتزيل ذنبا كاد ألا يغفرا

فلقد أقمتم حفلا لمزاجكم ∴ ونسبتموه إلى الْوَلِيِّ تَسَتُّرا

ورفعتموا علم التقرب فوقه ∴ فتدنس العلم الشريف بما جرى

أبصرتموا "نور الصباح" ∴ ورأيت "وحوح" راقصا مستهترا

أسفا لمن جاءوا به وبعُودهِ ∴ وبضابط الإيقاع ثم بكوثرا

فالشاعر ينكر ما حدث في الحفل، فالحفل لم يقام من أجل الولى، وإنما أقيم لمزاجهم ونسب إلى الولى تسترا، فقد استمر الحفل حتى الساعات الأولى من الصباح، واحتوى على الغناء والرقص والمزمار، وهذه كلها بدع منكرة.

ثم يبين موقف الولى وهو "ابن هارون" الذي أقيم الاحتفال بمناسبة مولده، فيقول على لسانه:

إن "ابن هارون" الذي جاءوا ∴ يدعو المساهم أن يتوب ليطهرا

ولقد دخلت ضريحه فوجدته ∴ قلقًا يكاد لطردهم أن يظهرا

ورأيته من رقصهم متألما ∴ يدعو عليهم أسفا متضجرا

هل كان ذلك لائقا ومناسبا ∴ لمقام قطب لا يقر المنكرا؟

إن "ابن هارون" الذي أقمتم حفلا لمولده غير راض ولا مستريح بما أحدثتموه في احتفالكم، فهو يأسف ويتألم وغاضب مما حدث، ولو كان حيا لطردكم شر طردة.

إن ما أحدثتموه لم يكن لائقا ومناسبا لمقام قطب لا يقر المنكر ولا يوافق عليه، ثم يحول دفة الحديث إلى هدف رسالته، وغاية سعيه الإصلاحي، ليحدث مقارنة بين حاضر مخرف فاشل، وماض مجيد للأوائل، فيقول:

هيا اقرءوا تاريخنا وتعلموا ∴ منه البطولة والجهاد الأكبرا

إيماننا بالله سر بقائنا ∴ وبغير وحدة صفنا لن تنصرا (١)

(١) وإن لمثلنا أن يحضرا – فيض الشجون – ص١٧.

الجريمة مشتقة من الجرم وهو: الاعتداء على مصلحة أو حق يحميه الشرع أو القانون. وهي كل سلوك إنساني غير مشروع إيجابيا كان أم سلبيا، عمداً كان أو غير عمد، يرتب له القانون جزاء جنائيا.

وقد ورد لها ذكر في القرآن الكريم في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: { **إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ**}(١)، وقوله – عز شأنه -: { **إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ** }(٢)، وقوله – عز وعلا -: { **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**}(٣).

والقرآن الكريم أورد السلوك الإنساني المنحرف عن الطريق القويم وهو "الإجرام" في قواعد مبينة الجرم والعقاب بالنسبة للحدود والقصاص والديات، وما عدا ذلك من الجرائم التعزيرية فإن ولي الأمر يقوم بسن الأنظمة المحددة للجرائم وعقوباتها وفق مقتضيات الصالح العام التي تحمي الإنسان في المجتمع.

"وفي الستينيات من القرن الماضي كثرت قي قرية الشاعر والقرى المجاورة لها حوادث العنف بسبب اعتياد الأحداث وصغار السن على حمل المطاوي على سبيل إظهار القوة"(٤)، عندئذ انبرى شاعرنا ينبه على هذا السلوك الخاطئ فقال تحت عنوان "جريمة":

وضع المطاوي في الجيوب جريمة ∴ يدعو إلى تحريمها الإسلام
فتجنبوها وادرءوا أخطارها ∴ يا أيها الآباء والحكام
جرت على الناس المصائب والأذى ∴ فإلى متى يتكاثر الأيتام

---

(١) القمر (٤٧).
(٢) المطففين (٢٩).
(٣) النمل (٦٩).
(٤) فيض الشجون/ ص٤٨ – "هامش".

يـــا أيهـــا الآبـــاء أيـــن جهـــودكم؟ ∴ أنـــتم علـــى الـــنهج الـــصحيح نيـــام

ربوا الشباب على الفضائل والنهى ∴ قولـــوا لهـــم إن الخـــصام حـــرام

لا تفهمـــــوا إن الـــــسعادة مأكـــــل ∴ أو ملـــبس يـــسمو بـــه الهنـــدام

إن الـــسعادة فـــي اتبـــاع كتـــابكم ∴ فرســـــولكم للمرســـــلين إمـــــام

قولـــوا لهـــم: أدوا فـــرائض ربكـــم ∴ يـــصحبكم التوفيـــق والإنعـــام

أنـــتم جنـــود الحـــق فاعتـــصموا بـــه ∴ إن تنـــصروه فـــأنتم الأعـــلام (١)

فالشاعر كعادته يشخص الداء فيقول: إن حمل المطاوي واستعمالها في الإيذاء وسفك الدماء جريمة يحرمها الإسلام، فقد جرت على الناس في هذه الأيام كثيرا من أنواع العنف، حتى كثرت حوادث القتل، ونتج عن ذلك كثير من اليتامي.

وبعد أن شخص الداء، بدأ في وصف الدواء. فيتوجه بالنداء إلى الآباء والحكام ويسألهم: أين جهودكم في تربية الأولاد والشباب وتقويم سلوكهم. لقد أخطأتم عندما غفلتم عن تربية أبناءكم، فإن التربية الصحيحة هي التي تقوم على الفضائل والمساواة والعدل والأخلاق الحميدة، عندئذ تكون السعادة الحقيقية، فليست السعادة في المأكل والملبس الذي يسمو به الهندام.

وأيضا علموهم فرائض الدين من: الصيام والصلاة والزكاة والحج، فأنتم جنود الله الذين يحملون رسالة الإسلام، فإن بلغتم رسالته ونصرتم دينه صحبكم التوفيق والإنعام.

---

(١) فيض الشجون – ص٤٨.

حظيت الدعوة الإسلامية طوال تاريخها الطويل برجال أشداء في الحق، متجردين في العمل، بارعين في مقارعة خصوم الإسلام الحجة بالحجة. ومن هؤلاء الشاعر الشيخ "محمد بظاظو" الذي خاض معارك جمة من أجل التصدي لمشروعات تحديد النسل، وقوانين الأحوال الشخصية الوضعية، وسخر عقله وفكره لمواجهة فتاوى إباحة الربا، ودعاة الإلحاد والإباحية في عصر شهدت فيه "مصر" الزخم الاشتراكي الذي حاولت فيه السلطة أن تصبغ به كل نواحي الحياة، كما حاولت إسكات هذا الرجل الفذ باللين حينا، وبالشدة أحيانا دون جدوى، إذ كان لا يساوم على دينه، ولا يبيعه بعرض من الدنيا زائل.

فلقد أعطى الله – سبحانه وتعالى – هذا الرجل فصاحة في الحق، وبلاغة في الذود عن حياض الإسلام، أهله لأن يقف صلبا في مواجهة السلطة في عصر أفرزت عشرات من علماء السلطة الذين يدورون في فلكها وركابها، ويرجون أفكارها.

"فحين صدع ذات مرة – كعادته دائما – برأى يخالف هوى السلطة، دعاه الحاكم وأجرى معه تحقيقا وقرر اعتقاله، وكان ذلك في أبريل سنة ١٩٦٥م، وعلى نفس النهج ربى أولاده على حب الحق والدفاع عنه، والاعتزاز به، وكان نتيجة ذلك أن اعتقل اثنين من أولاده عام ١٩٨١م"[١]، يقول مصورا ذلك:

كتابك يأتيني فيسعد مهجتي ∴ ويملأ نفسي بهجة وسرورا
وأنت أخي وابني ووارث ∴ إلى الله تدعو راضيا وشكورا
وأنت من الرحمن أعظم نعمة ∴ حباني بها حتى غدوت فخورا
تشاركني رأيي وفكري ومذهبي ∴ وللحق تدعو مذ نشأت صغيرا
فإن أودعوك السجن فالسجن ∴ تعوده الحر الأبيُّ مصيرا

(١) من حديث مع الشاعر بتاريخ (٢٠-١-٢٠١٣م).

فالشاعر يستقبل رسالة ولده من السجن بالفخر والاعتزاز والسرور، ثم يفخر بولده بأنه يسير على منهجه ويكمل رسالة والده التي بدأها وهي: الصدع بكلمة الحق، والزود عن حياض الإسلام، وإن كان ذلك أدى به إلى السجن فلا يزعجه ولا يقلقه، فالسجن منزل الأحرار، ومصير الأقوياء الأعزاء الشرفاء.

ثم يعود الشاعر إلى رسالته، فيعرض القضية لا باعتبارها مشكلة شخصية، بل باعتبارها داء في الأمة يجب أن تتخلص منه، يقول:

وقالوا تحفظنا على كل واحد ∴ رأيناه من الشباب خطيرا
وساقوا إلى الليمان كل مذهب ∴ يشع هدى فينا ويسطع نورا
شباب يرى الإسلام دينا ودولة ∴ ولا يرتجي غير الإله نصيرا
شباب الهدى والنور والحق ∴ فداؤك نفسي مؤمنا وطهورا
يطارده البوليس في كل مسجد ∴ ويا ويله إن ردد التكبيرا
وهل ينصر الرحمن إلا مجاهدا ∴ أحاطت به البلوى فكان صبورا؟

ثم يعطى الأمل مقرونا بروح الشباب والإصرار، فيقول:

سيبقى رجال الحق ذخرا وقوة ∴ يصوغون شعبا صالحا وبصيرا
دعوهم، فإن السجن ليس ∴ فمن خاف غير الإله عاش حقيرا

ويستوحي سيرة نبي الله يوسف – عليه الصلاة والسلام – الذي سجن ظلما، يستمد منها السلوى والعبرة، فيقول:

قالوا: تطرف أقوام فقلت لهم ∴ بل آثروا الحق عشق الحق أولى
قالوا: قبضنا على الآلاف ∴ حتى نؤمنكم من كل إرهاب
فقلت: مهلا، كتاب الله يؤنسني ∴ ولن يخاف تقى بطش مرتاب

---

(١) وأنت من الرحمن أعظم نعمة – فيض الشجون – ص١٦.

والسجن إن كان مقضى عليَّ به ∴ أحب عندي من فردوس نصاب [١]

و "يوسف" قالها قبلى وقد ∴ وأنت يا رب تحمي كل أوَّاب [٢]

ثبت على الحق كل المخلصين ∴ ولا تمكن لمغرور وغلاب [٣]

---

(١) نصب عليه: دبر له مكيدة، والنصاب: الخداع المحتال.

(٢) قال تعالى على لسان يوسف –عليه الصلاة والسلام – **{رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}** يوسف "٣٣".

(٣) أحب عندي من فردوس نصاب – فيض الشجون – ص٢١.

المبحث الثاني

تشجيع الظواهر الإيجابية

الإشادة باللغة العربية

إن للغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة، فإنها الأداة التى تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم.

وقوة اللغة من قوة الأمة، فالأمم القوية تشد من أزر لغتها، وكلما قويت أمة قويت لغتها وزادت انتشارا.

واللغة العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي قدر لها أن تحافظ على كيانها وأن تصبح عالمية، وما كان ليتحقق ذلك لولا نزول القرآن الكريم بها، إذ لا يمكن فهم ذلك الكتاب العزيز الفهم الصحيح والدقيق وتذوق إعجازه اللغوي إلا بقراءته بلغته العربية.

وتتميز اللغة العربية بمجموعة من الخصائص قل مثيلتها في اللغات الأخرى كما جعلها أرقى اللغات وأغناها، ومن هذه الخصائص [المفردات، والأصوات، والنحو، والصرف، والبلاغة، والخط العربي وغيرها من الخصائص].

ولما ضعف شأن المسلمين والعرب منذ القرن السادس عشر الميلادي، وتعرضت بلادهم للهجمات الاستعمارية، رأي المستعمرون أن أفضل وسيلة لهدم تماسك المسلمين والعرب، هي هدم وحدة الدين واللغة.

فقد حاولوا هدم وحدة اللغة بإحلال اللهجات العامية محل العربية الفصيحة، وكذلك اتهام اللغة العربية بأنه عاجزة عن أن تسع الحضارة الحديثة. عندئذ انبرى علماء اللغة وشعراؤها للدفاع عن اللغة العربية وبيان فضلها، يقول "حافظ إبراهيم" على لسانها:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ∴ وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف ∴ وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ∴ فهل سآلوا الغواص عن صدفاتي

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ∴ ومنكم وإن عز الدواء أساتي

فلا تكلوني للزمان فإنني ∴ أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ∴ وكم عز أقوام بعز لغاتي (١)

وشاعرنا لا يترك مناسبة إلا ويشيد بهذه اللغة العريقة، ويبين فضلها، نرى ذلك في مثل قوله في قصيدة "لغة الكتاب" والتي يهنئ فيها أحد أصدقائه:

لغة الكتاب وأنت اليوم تحرسها ∴ ممن يكيد لها من بعض أهليها

هي عز أمتكم، هي فخر دولتكم ∴ هاتوا لنا لغة أخرى تدانيها

لغة الكتاب بها الرحمن أنزله ∴ على النبي وهذا القدر يكفيها (٢)

وفي قصيدة أخرى نراه يوصي أحد أقرباءه مدرسي اللغة العربية المبعوثين إلى إحدى الدول العربية بأن يعلى من شأن اللغة العربية، وينشر محاسنها، وينصح من يهجرها بأنها عزنا ومجدنا وفخرنا، وأنها الباقية الخالدة، وهي لغة التخاطب بين الناس يوم القيامة، وأن من أراد أن يتعلم غيرها فليأخذ من اللغات ما يشاء، شريطة ألا يترك لغة الجدود ويهجرها بدعوى التجديد، كل هذه المعاني وغيرها ضمنها وصيته إلى زميله المبعوث إلى دولة العراق في قوله:

قد أوفدوك إلى العراق معلما ∴ تهب اليقين وتمنع التقليدا

لغة العروبة في يديك أمانة ∴ فانهض ومهد للعلا تمهيدا

انشر محاسنها وبين فضلها ∴ واجعل لها في كل بيت عيدا

نزل الكتاب بها فأعلى شأنها ∴ حتى تسامت رفعة وخلودا

قل للذي أضحى يواصل هجرها ∴ ومضى يردد غيرها ترديدا

---

(١) الديوان – ص٢٥٣ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة١٩٨٧م.

(٢) فيض الشجون – ص٣٥.

خذ ما تشاء من اللغات ولا تدع ∴ لغــة الجــدود وتــدعى التجديــدا
هــي مجـدكم، هــي عـزكم، هــي ∴ من ذا الذي يرضى لها التهديدا؟
وإذا العبــاد دنــت نهايــة يــومهم ∴ وقضى الإلــه علــى الــورى ليبيــدا
سقطت لغات العالمين وسيطرت ∴ لغـة الكتـاب لكـي تكـون نـشيدا (١)

ويشيد بدور الأزهر الشريف في حفاظه على اللغة العربية في قوله:

مــضت العــصور وأنــت صــرح ∴ تحمــي وتحفـظ للـورى دسـتورى
لغــة الكتــاب رعيتهــا وحفظتهــا ∴ مــن كــل غــزو وافــد منكــور (٢)

(١) سريا خطاب إليه – السابق – ص٤٥.
(٢) ورفعت أعلام الهداية – نفسه – ص٢٤.

لقد وصى الله – سبحانه وتعالى – الناس عموما والدعاة خصوصا بواجب الدعوة إليه تعالى، وحثهم على استشعار المسئولية ببذل وسعهم في إيجاد الأساليب الناجحة للدعوة، ودلهم على اتباع أساليب الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – في ذلك، سواء كان بالكلام أو بالقدوة والفعال.

وينبغي أن يتحمل المسلم ما يلاقي في سبيل تبليغ دعوة ربه، وأن يكون الدعاة إلى الله تعالى عدتهم الصبر وعتادهم اليقين بنصر الله وبلوغ أمره. والشاعر "محمد بظاظو" من أولئك الذين حملوا مشاعل الدعوة إلى الله تعالى على مدى أكثر من ستين عاما، فلا تكاد تمر مناسبة من تهنئة أو تعزية أو إهداء إلا وتراه يشد على أيدي الدعاة، ويحثهم على إعطاء النموذج وتقديم القدوة في رسالتهم إلى الناس، يقول:

وعلى دعاة الحق أن يتسلحوا ∴ بالوعي إن الخطب بات خطيرا

أنتم حماة الحق أنتم جنده ∴ من غيركم يتعقب التغييرا

أنتم حماة الدين فانفعلوا به ∴ وتجردوا كي تحسنوا التأثيرا [1]

فالداعي إلى الله تعالى يجب أن يكون بعيدا في دعوته عن المصالح الشخصية، كي يحسن التأثير في المجتمع ويستجيب له الناس، قال تعالى: { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ }[2].

والداعي إلى الله تعالى يحزن ويتحسر لمرأى جموع البشر تتخبط في دياجير الظلام، فيبادر ليجعل نفسه فتيلا مشتعلا في هذا الليل البهيم، والظلمة المدلهمة، راجيا الأجر من الله تعالى أولا، وتنبيها للسائرين، وإيقاظا للنائمين، وذلك بتيسير العلم تأليفا وتدوينا وتلقينه للمجتمع في بساطة وسهولة، يصور الشاعر ذلك فيقول:

---

(١) وتجردوا كي تحسنوا التأثيرا – فيض الشجون – ص٢٣.

(٢) الشعراء (١٠٩).

فيا دعاة الهدى والنور لا تهنوا ∴ وناصروا الحق والقرآن والدينا

وقاوموا الضعف والإلحاد ∴ لا تتركوا فرصة للمستغلينا

وراقبوا الله واستوصوا بأمتكم ∴ ويسروا العلم تأليفا وتدوينا

صوغوا نشيدا من الحق الذي ∴ ولقنوه لأهل الأرض تلقينا

إن تنصروا الله فالرحمن ينصركم ∴ وإن ضعفتم فقد خابت مساعينا

ويوضح صفات الداعي إلى الله – سبحانه وتعالى – في هذه المرثية التي رثى بها فضيلة الشيخ "بسيوني خطاب"[1]، يقول فيها:

لكم دعوت إلى الإسلام في ثقة ∴ تكافح البغى تجتاح المعادينا

أخلصت لله في سر وفي علن ∴ وصحت لا شيء غير الحق يرضينا

لو كنت بالمال تشرى لاشتروك ∴ كم ساوموك فلم تظهر لهم لينا

سلو المنابر عنه تسمعوا عجبا ∴ حرب أخافت جميع المستبدينا

هم شردوه فلم يرهبه ما صنعوا ∴ ما شئتموا فافعلوا فالله يحمينا

لم ينصفوك وقالوا غير ملتزم ∴ فلم تخفك لجاجات المرائينا

من كان يؤمن أن الله ناصره ∴ فكيف يخشى أراجيف المضلينا

من كان إرضاء رب العرش غايته ∴ يزيده ربه عزا وتمكينا

---

(١) الشيخ بسيوني خطاب، كان إماما لمسجد "عمرو بن العاص" بالقاهرة، وهو من مواليد قرية الشاعر "سنهور المدينة"، ومن زملاء دراسته. فيض الشجون – ص٣٠ هامش.

لمـــا رأوك بحبـــل الله معتـــصما ∴ تهـــدي وترشـــد آلاف المريـــدينا

قالوا دعوه ودوروا حول ساحته ∴ فكـم لـه مـن عظـات أثـرت فينـا

مـــا دام يـــؤثر ألا يـــستجيب لنـــا ∴ إن يلـزم البيـت هـذا منـه يكفينـا

ومـا دروا أن هذا الـصمت أكسبه ∴ حـب الجمـاهير فـي أعمـاق وادينـا

إن يمنعـــوه فقـــد أدى رســـالته ∴ ورب صـمت عـلا صـوت المنادينـا

إذا رجال الهدى والحق قد منعوا ∴ فمـن سينـشر ميـراث النبيينـا؟ (١)

إن الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – تحتاج إلى رجال ينفذون إلى قلوب الناس، ويأسرونهم بحسن سمعتهم وخلقهم، ويعرفونهم بالله ويذكرونهم بأيامه، ويعينوهم على أنفسهم وعلى الشيطان، وتسهيل طريق الخير أمام الناس، وإزالة العوائق الموهومة، وتأليف قلوبهم، وإشعارهم بمحبة الخير لهم.

والداعي إلى الله – سبحانه وتعالى – يجب أن يقوم بالواجب بغير يأس ولا قنوط، فقد قام نبي الله "نوح" – عليه السلام – بواجب الدعوة الف سنة إلا خمسين عاما، وما آمن معه إلا قليل، ومع ذلك كله لم يثنه عن الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى -.

والداعي إلى الله – عز وجل – يجب أن يكون شديد العزيمة، قوى الشكيمة، قال تعالى: { **يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ** }(٢)، وقال – عز شأنه -: {**خُذُوا**

---

(١) لو كنت بالمال تشرى – السابق – ص٣٠.

(٢) مريم (١٢).

مَـا آتَيْنَـاكُمْ بِقُـوَّةٍ }[1]. فالمسألة تحتـاج إلـى تـصميم وعزيمـة لا ضـعف وتـراخ، وحسن توجه، ونية خالصة حتى تحصل النتيجة.

(١) الأعراف (١٧١).

الحث على الزواج

إن الزواج في الإسلام عقد شريف مبارك، شرعه الله – تبارك وتعالى – لمصالح عباده ومنافعهم، ليظفروا منه بالمقاصد الحسنة والغايات الشريفة، فهو السبيل الأمثل لإعداد كل واحد من الزوجين بنفسه، وإحصان فرجه حتى لا يقع في الفاحشة، أو يسلك مسلكا خاطئا في قضاء شهوته، قال تعالى: **{وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ}**(١).

وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه – قال: قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"(٢).

ولقد أحاط الشرع الحنيف الزواج بسياج منيع وحصن حصين يصونه عن الشبه ويبعده عن الأنكحة الفاسدة، فاشترط فيه الولاية والرضا من الطرفين، وشهادة شاهدين عدلين، وإعلانه بين الناس.

وحرم الشرع ضروبا من الأنكحة لما فيها من المفاسد ومخالفة السنة، مثل: نكاح المتعة، والشغار، والتحليل، ونكاح المشركة، ونكاح أكثر من أربعة، وغيرها من الأنكحة الفاسدة.

وانطلاقا من مكانة الشاعر "محمد بظاظو" كإمام وخطيب وشاعر، نراه في كثير من خطبه وأشعاره يحث على الزواج، ويدعو ولاة الأمور إلى تيسيره، انطلاقا من توجيهات الرسول – ﷺ– في ذلك. ففي إحدى قصائده يبين الحكمة من الزواج فيقول:

---

(١) النحل (٧٢).

(٢) رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود – رضي الله عنه.

مـــا أســـعد النـــاس لـــو وَلُّـــوا ∴ شطر الشريعة واستهدوا بما فيها

سن الزواج لنا طهرا ومكرمة ∴ لتحفظ النفس مما قد يلاقيها (١)

وفي مناسبة أخرى يبين أن الزواج شريعة محمودة تهب الحياة لمن يعيش وحيدا، وبه تعز الأقوام، وترتفع الأمم، وتشاد البيوت الصالحة، يقول:

إن الـــزواج شـــريعة محمـــودة ∴ تهـب الحيـاة لمـن يعـيش وحيـدا

وتعـــز أقوامـــا وترفـــع أمـــة ∴ وتـــشيد بيتـــا صـــالحًا وعتيـــدا (٢)

ويوصى أحد الأزواج في عرسه فيقول له:

فكـن علـى ربـك الوهـاب معتمـدا ∴ واسلك سبيل الهدى تنجو وتنجيها

وسـر علـى ضـوء شـرع الله فـي ∴ يزيـــدك الله إلهامـــا وتوجيهـــا (٣)

وفي عقد قران إحدى حفيدتيه أنشد يقول:

عقـد سـعيد وباسـم الله نبـدؤه ∴ فـي فرحـة سـيظل الـدهر يحكيهـا

للأسـرتين يـصوغ القلـب تهنئـة ∴ الكـون والمـلأ الأعلـى يزكيهـا

البـدر يعلـم والأفـلاك شـاهدة ∴ بـــأن أيامنـــا بـــيض لياليهـــا

أهدى إليك أخي حسناء طاهرة ∴ نبتت محاسنها في روض ساقيها

---

(١) لغة الكتاب – فيض الشجون – ص٣٥.

(٢) السعد ألف منكما عنوانه – فيض الشجون – ص٣٤.

(٣) نالت من الزهراء تشبيها – السابق – ص٤٧.

صـنها وَصُـنْ عهـدها واحفـظ ∴ واسـعد برفقتهـا وافخـر بأهليهـا

أيـد يـا رب بـالتوفيق فـرحتهم ∴ وهب لهم دائما رشدا وتوجيها [1]

(١) طلعت كشمس الضحى – نفسه – ص٤٣.

التعاطف مع الزملاء

إن التواصل الشخصي مع الزملاء من خلال إظهار التعاطف والاهتمام ببعض أوضاعهم الشخصية أو الاجتماعية، كالسؤال عليهم في حالة المرض مثلا، أو التحدث معهم بصورة تنم عن التقدير والاحترام هو وسيلة هامة لكسب احترام هؤلاء الزملاء.

والمصداقية في التعامل مع الزملاء، سواء كانت مصداقية في القول أو الفعل لها دور هام وفعال في اكتساب الاحترام من قبل الكثير الذين سوف يقدروا كون الشخص المتعامل معهم شخص صادق لن يسبب لهم الأذى مما يوجب احترامه.

فمن يبدأ باحترام من حوله يجعلهم ملتزمين باحترامه دوما، والاحترام بين الزملاء يصل في كثير من الأحيان إلى صداقة، مما يساعد في بناء الكثير من العلاقات الاجتماعية الناجحة.

وكان شاعرنا على علاقة حب واحترام ناجحة مع زملاءه في الدراسة، ولذلك عندما "فصل شيخ المعهد الشيخ "محمد أحمد العروسي" أحد عشر طالبا من زملاء الشاعر بسبب اشتراكهم في مظاهرة بسبب رفضه فكرة غياب الطلاب قبل نهاية العام الدراسي للمذاكرة كما تعود الأزهريون وذلك في عام ١٩٤٤م"[١] تعاطف الشاعر مع زملاءه، وأنشد قصيدة يمدح فيها شيخ المعهد، ويطالبه بالعفو عن زملاءه، وعودتهم لأداء الامتحان خوفا من ضياع العام الدراسي عليهم، ويستهلها بمدح شيخ المعهد قائلا:

يا شيخ معهدنا وموضع فخرنا ∴ يا عالما قد خص بالإتقان

ثم يبدأ في عرض مطالبه مقدما الاستعطاف والاعتذار بين ثنايا كلامه قائلا:

---

(١) فيض الشجون – ص٢٦ – هامش.

لـي عنـدكم طلـب أريـد قـضاءه ∴ فـانظر إلـى برحمـة وحنـان

واعطف فإن العطف فيك سجية ∴ فعلـى المـسيء تفـيض بالإحـسان

يـا سـيدي إنـي نظمـت قـصيدتي ∴ أرجـوك فيهـا العفـو عـن إخـواني

وهم الأولى طردوا وطال غيابهم ∴ عنـا، وقـد نـدموا علـى العـصيان

ثم يبين موقف الطلاب بعد فصلهم، فقد عادوا إلى صوابهم، وعلموا أن موقفهم كان مجانبا للصواب، وندموا على ما فعلوا، ورب العالمين يقبل توبة العبد إذا ندم وتاب وأناب.

قـالوا جميعـا ليتنـا لـم نتبـع ∴ طـرق الخـلاف وشـرعة الـشيطان

فكفـاهم الحرمـان تأديبـا لهـم ∴ فـارفق بهـم يـا عـالي البنيـان

واشفق عليهم إنهم عزموا على ∴ تـرك الهـوى وتجنـب الهيجـان

وفـي نهايـة قـصيدته يـدعو الله – سـبحانه وتعـالى – أن يطيـل بقـاء شـيخ المعهد، ويرفع قدره في العالمين.

لا شـك أنـك أنـت أهـل للرجـا ∴ ولـذا رجوتـك ناطقـا بلـسان

والله يبقـيكم ويرفـع قـدركم ∴ ولكـم أردد آيـة الـشكران

ثم يوقع على قصيدته بطريقة الألغاز والرمز، فيقول:

فـالميم أول اسـمه ∴ والبـاء أول لقبـه

فـإذا بحثـت وجدتـه ∴ فـي الفـصل موثوقـا بـه [1]

---

(١) فكفاهم الحرمان – فيض الشجون – ص٢٦.

الإشادة بالإنجازات

إن الإنجازات في حياة الفرد والمجتمع هي تتويج لكثير من الإخفاقات التي تم الانتصار عليها، مما يشعرنا بحجم الإنجاز في حال تحققه، والإخفاقات بطبعها أداة دافعة لمن يريد أن يتعلم ولمن يبحث عن التطوير.

ولقد ظلت قرية "سنهور المدينة" التي شهدت مولد الشاعر "محمد بظاظو" تعانى كثيرا من الإهمال من كثير من أنواع الخدمات كالصحية والثقافية والعمرانية مما حدا بشاعرنا أن يطالب المسؤولين في كل مناسبة أن ينظروا بعين العطف إلى قريته، ففي إحدى المناسبات زار "المحافظ" قريته، فاستقبله شاعرنا بقصيدة حياه فيها، وعرض فيها مطالب قريته قائلا:

يوم لعمري مشرق بسام ∴ وافاك يا "سنهور" فيه همام
زار "المحافظ" أرضنا فتشرفت ∴ وأصابها خير وعم سلام
أهلا ومرحبة به وبركبه ∴ عشاق خير مخلصون كرام
فاليوم عيد إذ حللت بأرضنا ∴ وبمجدها تتميز الأيام
ولنا مطالب سوف نذكر بعضها ∴ فإذا سمحت فما على ملام
هذى بيوت الله إن هي أصلحت ∴ صلح الجميع وأذنوا وقاموا
أدخل مياه النيل فيها إنها ∴ عطشى، أتتركها وأنت غمام
والعامل الفلاح يصرخ قائلا ∴ أجرى ضئيل والحياة ضرام
وجه ومر فالخير قصدك دائما ∴ وارسم فنعم القائد الرسام
فإذا أمرت فكل شيء هين ∴ نحن الجنود إذن وأنت إمام [1]

---

(١) والبادئون كرام – فيض الشجون – ص٢٩.

وفي إحدى المناسبات زار "وزير الكهرباء" قرية "سنهور" وكان من بين المدعوين لاستقباله الشاعر "محمد بظاظو"، فاغتنم الفرصة واستقبله بقصيدة رحب فيها وعرض مطالب قريته قائلا:

إنـي أحييـه مـن قلبـي وأشـكره ∴ باسم المئات الأُلى حرموا من النور

بالكهربـاء أضـاءوا كـل منطقـة ∴ مـن حولنـا وتناسـوا أهـل سـنهور

وكم شكونا فما أصغى الزمان لنـا ∴ حتى خطرت هنا يا مشرق النور (١)

فالشاعر يتفاعل مع الأحداث الخاصة بقريته ويرصد التطور الثقافي والعمراني بها، ولا يترك مناسبة إلا ويخاطب المسئولين ويعرض مطالب قريته دون ككل أو ملل حتى بدأت تتحقق المطالب على يديه، ودخلت الكهرباء إلى قريته، عندئذ أنشد يوجه الشكر إلى المحافظ الذي أوفى بوعده قائلا:

نعـم المحـافظ جـاء ليزورنـا ∴ وهـو الـذي يُـسْعَى لـه ويُـسَارُ

لـك شـكرنا لـك حبنـا ووفاؤنـا ∴ مـا جـن ليـل أو أضـاء نهـار

حُـرٌّ وفـي بالوعـد برصـالح ∴ وبمثلـه تتقـدم الأمـصار

ولقـد وعـدت بـأن تـضاء بيوتنـا ∴ فأضـأتها وتـلألأت أنـوار

سـنظل نـذكر بالفخـار جهـودكم ∴ مـا غـردت فـي عـشها الأطيـار (٢)

---

(١) وكم شكونا – فيض الشجون – ص٤١.

(٢) والعيش في ثوب المذلة عار –السابق– ص٢٧.

ولم تقتصر جهود الشاعر على المطالبة بإدخال الكهرباء ومياه الشرب النقية إلى قريته، بل استمر في مطالبة المسئولين ببذل الكثير من الجهود لإعلاء شأن قريته بين القرى المجاورة، فنراه مرة أخرى يطالب "المحافظ" ببناء المعاهد الأزهرية في قريته، تلك المعاهد التي تسمو بالأخلاق والأفهام، وتسلح الشباب بالعلم النافع والهادف، وتصون التراث قديمه وحديثه، يقول:

حجر الأساس ضعوه وابنوا ∴ تسمو به الأخلاق والأفهام

ابنوا المعاهد للشباب وأيقظوا ∴ بالعلم من هم غافلون نيام

صونوا التراث قديمه وحديثه ∴ فتراث أمتكم هدى وسلام (١)

وبعد أن بنى المعهد، وانتظم الطلاب في الدراسة، حدث خلاف إداري بين المسئولين في المحافظة والأزهر، انتهى إلى غلق المعهد وإيقاف الطلاب عن الدراسة، عندئذ هب شاعرنا يزور المسئولين في كل مكان ويطالب بافتتاح المعهد وعودة الطلاب مرة ثانية، يقول في إحدى قصائده التي أنشدها في ذلك:

أيجوز أن يلغى ويغلق معهد ∴ وضحت به الأيام والأحكام؟!

أيشرد الطلاب دون مبرر؟! ∴ أو يهمل الضعفاء والأيتام؟!

لا والذي رفع السماء وصانها ∴ لن يهدموا ما شاده الإسلام

"سنهور" ترجوكم وأنتم للرجا ∴ أهل فنعم المنصف المقدام

لك أيها الضيف الكريم تحية ∴ منا وشكر خالص وسلام (٢)

واستمر الشاعر في مطالبة المسئولين بفتح المعهد مرة ثانية وعودة الدراسة

---

(١) هو للبلاد منارة–نفسه– ص٢٠.

(٢) هو للبلاد منارة – فيض الشجون – ص٢٠.

إليه، حتى تحقق له ما أراد وأشرق نور العلم في جنباته، عندئذ توجه بالشكر إلى "المحافظ" الذي أعاد النور مرة ثانية إلى المعهد، وأشاد بإنجازاته في القرية قائلاً:

"سنهور" أشرق فيها نور ∴ ورفرف البشر فوق الناس
هنا ترى منجزات قام فاعلها ∴ ببذل جهد على الأيام مشكور
إنا نشيد دور العلم غالية ∴ ونجتلى كل منظوم ومنثور [1]

(١) وكم شكونا – السابق – ص٤١.

الفصل الثاني

الشكل الفني

١- الشكل والمضمون
٢- الأساليب
٣- الموسيقى
٤- العاطفة
٥- التصوير الشعري
٦- الوحدة العضوية

الشكل والمضمون

تتكون الكلمة أو أية وحدة لغوية تكبرها من جانبين أساسيين مهمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما: اللفظ والمعنى.

ودراسة اللغة في حد ذاتها تعد في جانب كبير منها دراسة للعلاقة بين هذين الجانبين.

واللفظ هو الحامل المادي والمقابل الحسي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية مجردة، وأهم ما يميزه أنه منطوق.

وقد برزت هذه القضية بوضوح في تاريخ الأدب العربي وخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وشغلت الأدباء والنقاد، وظلت مناط البحث والجدل فترة طويلة، حتى حسمها "ابن رشيق" بقوله: "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه، ويقوى بقوته"[١].

وقد عرف النقاد اللفظ بأنه: "الوسيلة الأدبية لإدراك القيم الشعورية في العمل الأدبي، وهو الأداة التي ينقل بها الأديب تجاربه الشعورية"[٢] ويقصد بالمعاني والأفكار: "الحقائق الإنسانية أو الوجدانية التي يقصد الأديب إلى إيرادها، ويهدف إلى أن يزفها إلى المتلقين ليشاركوه فكرته، ويحسوا بما أحس، ويتأثروا بما تأثر"[٣].

وباستقراء ألفاظ "بظاظو" ومعانيه في الشعر الاجتماعي، تبين أنها تتسم بالخصائص الآتية:

---

(١) العمدة – ت/ محي الدين عبد الحميد ١٢٤/١ – دار الجيل – بيروت – الرابعة سنة ١٩٧٢م.
(٢) النقد الأدبي – سيد قطب – ص٧٠ – دار الشروق سنة ١٩٨٣.
(٣) مناهج البحث الأدبي – د/ سعد عبد المقصود ظلام – ص١٦٦ (بتصرف) مطبعة الأمانة – القاهرة – د.ت.

أولا: مصادر استقاء الكلمة

وقد استقى "بظاظو" معجمه الشعري من البيئات الآتية:

أولا – القاموس الإسلامي.

فقد استقى كثيرا من ألفاظه من القاموس الإسلامي، وذلك كقوله:

يـــا أمـــة القـــرآن لا تتفرقـــوا ∴ فكفـــى خلافـــا بيننـــا وكفـــاك

عـودوا إلـى القـرآن واعتـصموا ∴ وتماســكوا وادعــوا للاستمــساك

وقوله:

يـا أمـة المختـار لا تـدعى الهـدى ∴ فـــالله بالإســـلام قـــد أغنـــاك

لـو كـان شـعبك مؤمنـا وموحـدا ∴ لأتـــى خـــصومك يبتغـــون رضـــاك

وقوله:

الله أكبـــر والجهـــاد ســـبيلنا ∴ وكتابنـــا القـــرآن أصـــل هـــداك

الله ينـصر مـن يناصـر شـرعه ∴ يـا قـدس صـانك ربنـا وحمـاك (١)

وقوله:

لكم دعوت إلـى الإسلام فـي ثقـة ∴ تكـــافح البغـــى تجتـــاح المعادينـــا

أخلـصت لله فـي سـر وفـي علـن ∴ وصـــحت لا شـــيء غيـــر الحـــق

فألفـاظ "الأمـة، والقـرآن، والتماسـك، والاعتـصام، والهـدى، والإسـلام، والإيمان، والتوحيد، والله أكبر، والحق، والنصر، والشرع، والقدس، والجهاد، والسر، والعلن"، مـن الألفـاظ التـي وردت فـي القرآن الكـريم، والسنة النبويـة الشريفة.

---

(١) جراح القدس – فيض الشجون – ص١٤.

(٢) لو كنت بالمال تشري – السابق – ص٣٠.

وقوله:

والموت حق والجهاد فريضة ∴ والحرب شرع والسلام شعار

المرء ليس يموت إلا مرة ∴ والعيش في ثوب المذلة عار (١)

ثانيا: من القاموس السياسي:

وذلك كقوله:

قولوا لأمريكا ومن وثقوا بها ∴ مهلا طغاة الكفر والإشراك

الأمر كان هم العدو ومالهم ∴ عند الأعادي جاهز لهلاك

دول الصليب تقاربت وتوحدت ∴ وغدت مسيطرة على الأفلاك

وغزت شعوب الشرق في ∴ وبنت لهم سورا من الأشواك

"شارون" يا رمز التعاسة ∴ ويل لكل مخادع سفاك (٢)

وقوله:

للاشتراكيين صرنا قادة ∴ حتما سيتبع نهجنا الأقوام (٣)

وقوله:

وساقوا إلى الليمان كل مذهب ∴ يشع هدى فينا ويسطع نورا

فإن أودعوك السجن فالسجن ∴ تعوده الحر الأبي مصيرا

يطارده البوليس في كل مسجد ∴ ويا ويله إن ردد التكبيرا (٤)

---

(١) والعيش في ثوب المذلة عار – نفسه – ص٢٧.

(٢) جراح القدس –نفسه– ص١٣.

(٣) والبادئون كرام –فيض الشجون– ص٣٩.

(٤) وأنت من الرحمن أعظم نعمة –السابق– ص١٦.

فألفـاظ "أمريكـا – دول الـصليب – شـعوب – الأوطـان – شـارون، الاشتراكية، الليمان، السجن، والمطاردة، والبوليس"، وغيرها من الألفاظ منتشرة وشائعة بين السياسيين.

ثالثا – من شئون الحياة اليومية:

وذلك كقوله:

جاء البشير بها يسعى إلى بابي ∴ طاقيـة نـسجت مـن صـنع أحبـابي

جـاء البـشير فأهـداها فقلـت لـه: ∴ حـازت لعمـرك تقـديري وإعجـابي

كـل الطـواقي لـستر الـرأس قـد ∴ وهذه أسعدت روحي وأعصابي [1]

وقوله:

وضع المطاوي في الجيوب جريمة ∴ يـدعو إلـى تحريمهـا الإسـلام

جرت على النـاس المصائب والأذى ∴ فـإلى متـى يتكـاثر الأيتـام [2]

وقوله:

أبـصرتموا "نـور الـصباح" ∴ ورأيت "وحوح" راقصا مستهترا

أسـفا لمـن جـاءوا بـه وبعـوده ∴ وبـضابط الإيقـاع ثـم بكـوثرا

فألفـاظ "البـشير، والبـاب، والطاقيـة، وأحبـابي، وإعجـابي، وأسـعدت، والمطاوي، والجيوب، وجريمة، والمصائب، والأذى، ونور الصباح، ووحوح، والرقص، والعود، وضابط الإيقاع" وغيرها واضحة وسهلة وجميعها منتقاة من لغة الحياة اليومية.

---

(١) أحب عندي من فردوس نصاب – نفسه – ص٢١.

(٢) جريمة – نفسه – ص٤٨.

ثانيا – ربط النتاج الأدبي بالواقع الاجتماعي:

ربط "بظاظو" نتاجه الأدبي في ديوانه "فيض الشجون" بواقعه الاجتماعي، فكان موجها ومرشدا وناقدا، وهو بذلك يتفق مع العالم الإنجليزي "آرنولد" كما نقل عنه الدكتور "محمود الربيعي" الذي يقول: "إن المستقبل سيثبت بشكل أكيد أننا نتحول إلى الشعر ونلوذ به لا ليساعدنا على تفسير الحياة، أو ليخفف عنا من ضغطها فحسب، وإنما ليكمل لنا صورة الحياة، هذه الحياة التي ستبدو ناقصة بالعلم وحده" وعنده أن "دور الشاعر في المجتمع المفتوح الذي اتسعت فيه دائرة التربية دور تربوي يقوم على إرشاد الإنسانية وهوايتها"[(١)].

فهذا وغيره يرون وجوبا أن يكون المضمون انعكاسا للواقع الاجتماعي.

وقد تبنى "بظاظو" هذه الأفكار، فكان هدف جل شعره في ديوانه السالف الذكر إلى نهضة الأمة وإيقاظها من غفلتها، ونبذ الخلاف والشقاق ورعاية الشباب، والإشادة بالمنجزات.

يقول موجها حديثه إلى الأمة أن تنهض من كبوتها:

يا أمة شرف الزمان بمجدها ∴ لولاك ما عرف الهدى لولاك

هبى من النوم العميق وأيقظي ∴ كل الشعوب وأنقذي مسراك

لو كان شعبك مؤمنا وموحدًا ∴ لأتى خصومك يبغون رضاك [(٢)]

ويدعو إلى الاهتمام بالشباب ومنحهم مكانتهم الحقيقية في المجتمع، يقول:

ربواالشباب على الأخلاق واعتصموا ∴ بالدين واستمسكوا بالحق والنور

وابنوا على العلم والإيمان ∴ وطهروا أرضكم من كل مأجور [(٣)]

---

(١) في نقد الشعر – د/ محمود الربيعي – ص٤٥ – دار المعارف – الثالثة – د.ت.

(٢) جراح القدس – فيض الشجون – ص١٣.

(٣) وكم شكونا –السابق– ص٤١.

ويشيد بالمنجزات التي تمت على أرض قريته، ويوجه الشكر إلى المحافظ الذي وفى بوعده قائلا:

نعم المحافظ جاء ليزورنا ∴ وهو الذي يُسْعَى له ويُسَارُ
لك شكرنا لك حبنا ووفاؤنا ∴ ما جن ليل أو أضاء نهار
حُرٌّ وفي بالوعد برصالح ∴ وبمثله تتقدم الأمصار
ولقد وعدت بأن تضاء بيوتنا ∴ فأضأتها وتلألأت أنوار
ستظل نذكر بالفخار جهودكم ∴ ما غردت في عشها الأطيار (١)

ثالثا – مناسبة الألفاظ للمعاني:

فقد ناسبت ألفاظه كثيرا من معانيه الشعرية، يقول مخاطبا القاضي في ساحة القضاء:

يا رافعا راية القانون في ثقة ∴ تهدى وتسعد دنيانا وأخرانا
بالعدل تنصف مظلوما وتنقذه ∴ ونكشف الزيف لا تعبأ بغضبانا
إن تشرح الباب تستجلى ∴ وإن تحاضر فنور العلم يغشانا
ضميرك الحي عنوان لنهضتنا ∴ فانهض بمصر وضع للحق برهانا

فالألفاظ "رافعا – والقانون، وثقة، والعدل، وتنصف، والمظلوم، والزيف، وغضبان، والضمير الحي، والحق، والبرهان" مناسبة تماما لتأدية المعاني التي أرادها الشاعر.

---

(١) والعيش في ثوب المذلة عار – فيض الشجون – ص٢٧.
(٢) بالعدل تنصف مظلوما–السابق– ص٥١.

ويقول مخاطبا الطبيب:

الطب رفق وتيسير ومرحمة ∴ لو أنصف الناس ما ضلوا وما

ما قيمة العلم إن لم يحم صاحبه ∴ من الضياع فيأمره وينهاه

من كان بالدين والأخلاق ∴ يكلل الله بالتوفيق مسعاه

من يذكر الله فالرحمن يذكره ∴ فكيف أغفل عنه؟ كيف أنساه؟

من ذا الذي أوجد الإنسان من ∴ من ذا الذي صاغه حسنا ونماه؟

من ذا الذي في ظلام البطن ∴ من ذا الذي من دماء الأم غذاه؟

الله ربي وهذا الكون صنعته ∴ فلا إله ولا معبود إلاه

في البر والبحر أو في الجو ∴ في كل شيء ألاحظه وألقاه

يا عالم الطب كم فى الجسم من عظة ∴ تقرب العبد من مرضاة مولاه

في الجسم أجهزة، في الجسم ∴ تبارك الله صوره وسواه (١)

فالشاعر ينصح الطبيب ويذكره بقدرة الله – سبحانه وتعالى – في السر والعلن، وألا يغفل عن مولاه ولا ينساه لحظة واحدة، مقدما آيات الخضوع والرضا والعظة التي تقرب العبد من مولاه في ألفاظ قيمة تناسب الموقف والمعانى التي أرادها.

رابعا – الوضوح والسهولة:

وقد استقى كثيرا من ألفاظه من التعبيرات الواضحة السهلة بحيث لا يلجأ القارئ إلى المعاجم في فهم ألفاظه، ومن ذلك قوله:

سافر أخي صحبتك كل سلامة ∴ ورعت حماك عناية الوهاب

---

(١) هو المعالج والشافي هو الله –نفسه– ص٤٩.

إن المسافر إن يصل بسلامة ∴ كتبت أناملـه إلى الأحباب

وصلت رسائلكم إلى إخوانكم ∴ يا ليت شعري أين كان خطابي؟[1]

(١) أكرم به من عاتب – فيض الشجون – ص٤٢.

خامسا – المحسنات البديعية:

وهي تكسب الشعر جمالا وحسنا بشرط أن تكون عفوية وألا تكون طاغية على الأسلوب.

وباستقراء "الشعر الاجتماعي" عند "بظاظو" تبين أنه لا يحفل بالمحسنات كثيرا، وما جاء منها كان عفويا غير متكلف، ومن ذلك الجناس في قوله:

المـــرء لـــيس يمـــوت إلا مـــرة ∴ والمـوت يألفـه الـشجاع الزاكـي [١]

وقوله:

فـإن أودعـوك الـسجن فالـسجن ∴ تعـوده الحـر الأبـي مـصيرا [٢]

والطباق في قوله:

نطقت بـالحق في سر وفـي علـن ∴ وكـان علمـك نـورا سـاطعا فينـا [٣]

وقوله:

يـرى البعيـد قريبـا فـي تناولـه ∴ والصعب سـهلا ويقضي العمر نشوانا

ورد العجز على الصدر في قوله:

ولقـد وعـدت بـأن تـضاء بيوتنـا ∴ فأضـــأتها وتـــلألأت أنـــوار [٥]

وقوله:

---

(١) جراح القدس – السابق – ص١٣.
(٢) وأنت من الرحمن أعظم نعمة – نفسه– ص١٦.
(٣) على يديك أطاع الله منحرف –نفسه– ص٣٢.
(٤) يا عيد أقبل – نفسه – ص٣٣.
(٥) والعيش في ثوب المذلة عار –فيض الشجون– ص٢٧.

إن فـاخر البـدر المـضئ بنـوره ∴ فـافخر بمجـدك عالمـا ومجيـدا [١]

وصحة التقسيم في قوله:

فـي الجـسم أجهـزة، فـي الجـسم ∴ تبـــارك الله صـــوره وســـواه [٢]

وقد وقعت في شعره بعض الألفاظ الشائعة والمنتشرة التي تجري على ألسنة كثير من الناس، وذلك في مثل قوله:

باسمي وباسم جميع الحاضرين ∴ أوجـه الـشكر إجـلالا وعرفانـا [٣]

فقوله: "باسمي وباسم جميع الحاضرين معي"، تقال على ألسنة كثير من الناس وخاصة في الأعياد والمناسبات.

وقوله:

داروا الكسوف بـدعمكم وبمـالكم ∴ والوغـد منـشغل بنـصب شـراك [٤]

فالتعبير بقوله: "داروا الكسوف"، لا يصلح أن يكون تعبيرا شعريا.

وقوله:

والله يبقـــيكم ويرفـــع قـــدركم ∴ ولكـــم أردد آيـــة الـــشكران [٥]

فقوله: "والله يبقيكم ويرفع قدركم" تعبير دعائي وليس شعري.

---

(١) السعد ألف منكما عنوانه–السابق– ص٣٤.

(٢) هو المعالج والشافي الله –نفسه– ص٣٩.

(٣) بالعدل تنصف مظلوما –نفسه – ص٥١.

(٤) جراح القدس – نفسه – ص١٣.

(٥) فكفاهم الحرمان – نفسه – ص٢٦.

وقوله:

فكرت في شيء يناسب قدركم ∴ ويكون رمز محبة ووفاء [1]

فالتعبير بقوله: "فكرت في شيء يناسب قدركم" من الألفاظ المنتشرة بين الناس، ويجب على الشاعر أن يرتفع بألفاظه ومعانيه عن الألفاظ الشائعة والمنتشرة، لأن الشعر له لغته وألفاظه المنتقاة الجذلة المعبرة.

وقوله:

قولوا "لأمريكا" ومن وثقوا بها ∴ مهلا طغاة الكفر والإشراك

لما أطعناكم وآمنا بكم ∴ صب البلاء وكان صنع سماك [2]

فقد أخطأ الشاعر في تعبيره "أطعناكم وآمنا بكم"، لأن الإيمان والطاعة لا يكونان إلا لله – سبحانه وتعالى – ورسوله محمد – صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}**[3] وقال – عز شأنه -: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}**[4] وليس لأمريكا وغيرها.

---

(١) قصيدة "عالج به مرضى القلوب" ـــنفسه – ص٤٦.

(٢) جراح القدس ـــفيض الشجون–ص١٣.

(٣) الأنفال (٤٦).

(٤) الحديد (٢٨).

الأساليب

والأسلوب هو "الطريقة التي يصوغ فيها الكاتب أفكاره ويبين بها عما يجول في نفسه من العواطف والانفعالات"[١].

والأساليب عند "بظاظو" كثيرة ومتنوعة، ويمكن تناولها على النحو الآتي:

أولا – كثرة الأساليب الإنشائية:

استعمل الشاعر كثيرا من الأسلوب الإنشائي، فاستخدم الاستفهام في الإنكار على الأمة الإسلامية لتخاذلها عن نصرة الأقصى، ورضاها بالذل رغم كثرة عددها، ووفرة سلاحها، فقال:

يا أمة المليار أين سلاحكم؟ ∴ من أسكت الأحرار؟ من أخزاك؟[٢]

فالتعبير بقوله: "يا أمة المليار" سخرية مرة من العدد الذي لا وزن ولا قيمة له.

ويتعانق التعجب والاستفهام في تأدية المضمون بدقة وإتقان في قوله:

سبحان ربي وهل شرع الزواج ∴ إلا لنعصم أنفسنا ونحميها؟![٣]

فعبارة التسبيح توحى بقيمة الزواج وأهميته، إذ شرعه المولى – سبحانه وتعالى – لعباده العليم بنفوسهم وشهواتهم.

وينكر على المسئولين أن يغلق معهد أزهري أقيم ليكون مشعل نور، ومعلم هداية، فيقول:

أيجوز أن يلغى ويغلق معهد؟ ∴ وضحت به الآيات والأحكام

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب – د/ أحمد بدوي – ص٤٥١.
(٢) جراح القدس – فيض الشجون – ص١٣.
(٣) نالت لعمري من الزهراء تشبيها – السابق – ص٤٧.

أيــشرد الطــلاب دون مبــرر؟ ∴ أو يهمــل الــضعفاء والأيتــام؟[1]

واستخدم الأمر في التوجيه والنصح في قوله لأحد المعلمين:

قـل للـشباب إذا التقيـت بجمعهـم ∴ صـونوا التـراث وقـاوموا التهديـدا

وتسلحوا بـالعلم والتزمـوا الهـدى ∴ واحمـوا العقيـدة وانـشروا التوحيـدا

فقـد تتابعـت فـي البيتـين سـتة أسـاليب[2] للأمـر وهـي "صـونوا، وقـاوموا، وتسلحوا، والتزموا، واحموا، وانشروا"، شكلت فيما بينها توازنا بيانيا "فقد تكون كل أسلوب من فعل مسند إلى واو الجمع ومن بعده المفعول أو المتعلق وتتابع الأساليب أشاع جوا من الجد والحزم، وكشف الشعور بأهمية المضمون، وبخاصة مع أفعال "صونوا، وقاموا، وتسلحوا""[3].

واستخدمه في الاستعطاف، كقوله لشيخ المعهد:

فكفــاهم الحرمــان تأديبــا لهــم ∴ فــارفق بهــم يــا عــالي البنيــان

واشفق عليهم إنهم عزموا على ∴ تـرك الهـوى وتجنـب الهيجـان [4]

واستخدمه في التهنئة، كقوله:

يــا عيــد أقبــل وذكــره بمجلــسنا ∴ وصــف لــه جمعنــا أهــلا وإخوانــا

قد أقبل العيد فانعم يا سعيد به ∴ مــع الرفــاق وبلغهــم تهانينــا [5]

واستخدم النهي في التحذير، كقوله:

لا تخضعوا أبدا لفرض شروطهم ∴ فعقــولهم مــشدودة بــشباك [6]

---

(١) هو للبلاد منارة – نفسه – ص٢٠.

(٢) سريا خطاب إليه – نفسه – ص٤٥.

(٣) فيض الشجون – ص٧٦.

(٤) فكفاهم الحرمان – السابق – ص٢٦.

(٥) يا عيد أقبل – نفسه – ص٣٣.

(٦) جراح القدس – نفسه – ص١٣.

ومزج بين الأمر والنهي والاستفهام في رسالته إلى الآباء والمربين في قوله:

ربوا الشباب على الفضائل ∴ قولوا لهم إن الخصام حرام

لا تفهموا إن السعادة مأكل ∴ أو ملبس يسموا به الهندام

قولوا لهم أدوا فرائض ربكم ∴ يصحبكم التوفيق والإنعام (١)

فتكرار الأمر "قولوا" يوحى بأنه يريد أن يصدر الأمر بشكل مباشر من الآباء إلى الأبناء.

والنهي "لا تفهموا" فيه روح الأمر، أي كونوا على مستوى المسئولية، والاستفهام "أين جهودكم"؟ يوحى بالأسى والحسرة والألم على دور الآباء المفقود في تربية الأبناء.

ثانيا: الأسلوب الخبري:

وأتى بالأسلوب الخبري لينقل أفكاره على أنها حقائق واقعية يقررها في ذهن القارئ، وذلك مثل قوله للدعاة:

أنتم حماة فانفعلوا به ∴ وتجردوا كي تحسنوا التأثيرا (٢)

ويمزج بين الخبري والإنشائي في قوله عن الصهاينة والسفاحين:

قتلوا الألوف كأن شيئا لم يكن ∴ أكذا يهان الحر فوق ثراك؟(٣)

وقوله عن اللغة العربية:

هي مجدكم، هي عزكم، هي فخركم ∴ من ذا الذي يرضى لها التبديدا (٤)

---

(١) جريمة – نفسه – ص٤٨.

(٢) فيض الشجون – ص٢٣.

(٣) السابق – ص١٣.

(٤) فيض الشجون – ص٤٥.

وغيرها من الأساليب المنشرة في شعره الاجتماعي.

ثالثا: أسلوب الحوار:

وأحيانا يستخدم أسلوب الحوار، وذلك مثل قوله في محنة اعتقال ولديه:

قالوا: تطرف أقوام، فقلت لهم ∴ بل آثروا الحق عشق الحق أولى

قالوا: قبضنا على الآلاف ∴ حتى نؤمنكم من كل إرهاب

فقلت: مهلا كتاب الله يؤنسني ∴ ولن يخاف تقى بطش مرتاب (١)

وقوله في محاربة العادات غير الإسلامية:

قالوا: "بنسوار" أو "بنجور" قلت ∴ لا تعبثوا وكفى جهلا وتسفيها

تحية الدين أولى يا شباب بكم ∴ لا تهجروها وعادوا من يعاديها (٢)

وقوله في قصيدة "جراح القدس":

قالوا: سلام، قلت: خدعة ماكر ∴ وضعت عقول القوم في إرباك

قولوا لأمريكا ومن وثقوا بها ∴ مهلا طغاة الكفر والإشراك (٣)

وجاءت "قالوا" بمعنى أخبروا في مثل قوله:

قالوا خلاف أصله عمدية ∴ من أجلها افترق الجميع وهاموا (٤)

وجاءت بمعنى "بلغوا" كقوله عن اللغة العربية:

قل للذي أضحى يواصل هجرها ∴ ومضى يردد غيرها ترديدا

---

(١) نفسه – ص٢١.

(٢) نفسه – ص٤٥.

(٣) نفسه – ص٤٩.

(٤) نفسه – ص٣٥.

خذ ما تشاء من اللغات ولا تدع ∴ لغة الجدود وتدعي التجديدا [1]

وقوله يشكر طبيبا:

قولوا لقومي إذا ما مسهم مرض ∴ زوروا طبيبا يد الرحمن ترعاه [2]

ومرد استخدم الشاعر لأسلوب الحوار – في نظري – يعود إلى طبيعة دراسته للعلوم الشرعية، وعمله في حقل الوعظ والإرشاد الذي يعتمد على إيراد حجة الآخر ثم يكر عليها ليبطلها وخاصة في كتب الفقه التي تعتمد على أسلوب "فإن قيل... قلنا"، وربما كان نقل هذا الأسلوب إلى الشعر غير ملائم لجو الشعر وطبيعته المغايرة لعالم الفقه والتشريع.

رابعا: الاقتباس:

والاقتباس من الأساليب التي لجأ إليها الشاعر "محمد بظاظو"، فقد اقتبس من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والأمثال العربية.

ومن شواهد ذلك:

أولا: من القرآن الكريم.

يقول في قصيدة "جراح القدس":

والله لو وجد التكافؤ في اللقا ∴ لتزلزت أرض وقص الحاكي [3]

ففي البيت اقتباس من قوله تعالى: {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}[4].

وقوله:

من يذكر الله فالرحمن يذكره ∴ فكيف أغفل عنه؟ كيف أنساه؟[5]

في البيت اقتباس من قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا

---

(١) فيض الشجون – ص٤٥.
(٢) السابق – ص٤٩.
(٣) نفسه – ص١٣.
(٤) سورة الزلزلة (١).
(٥) فيض الشجون – ص٤٩.

تَكْفُرُونِ}[1].

ثانيا: من السنة النبوية الشريفة:

وقد استوحى الشاعر في شعره بعض المعاني من أحاديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم -ـ ومن ذلك قوله:

يا أمة المليار أين سلاحكم ∴ من أسكت الأحرار؟ من أخزاك؟[2]

فالسخرية من العدد الكثير يذكرنا بالغثاء الذي عبر عنه المصطفى – ﷺ– في الحديث الذي رواه ثوبان - رضي الله عنه – أنه قال – عليه الصلاة والسلام -: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: "أو من قلة نحن يؤمئذ يا رسول الله؟ قال: لا – كلا – ولكنكم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل، وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم، ويقذف في قلوبكم الوهن" قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: "حب الدنيا وكراهية الموت"[3].

ثالثا: من الأمثال العربية:

ومن ذلك قوله:

الحمد لله أعطى القوس باريها ∴ وأسكن الدار مالكها وبانيها [4]

فقوله: "أعطى القوس باريها"، اقتباس من المثل العربي: "أعطى القوس باريها"، ويروى "بارئها" بالهمز، ومنه قول الشاعر:

---

(١) البقرة (١٥٢).

(٢) فيض الشجون – ص١٣.

(٣) رواه أحمد في المسند – ٢٧٨/٥، وأبو داود في الملاحم برقم ٤٢٩٧، وسنده صحيح. المسند – أحمد ابن حنبل – إشراف/ سمير طه المجذوب – إعداد/ محمد سليم سمارة وآخرون ط/ المكتب الإسلامي – بيروت – الأولى – سنة ١٤١٣هـ – سنة ١٩٩٣م.

(٤) فيض الشجون – ص٣٦.

يـا بـاري القـوس بريـا لـيس يحـــــــــــــــــسنه ∴ لا تظلـــم القـــوس أعـــط القـــوس باريهـــــــــــــــــــــــا"[١]

ونراه يضمن أبياته بعض المصطلحات السياسية، وذلك مثل قوله:

"فـرق تـسد" هـذا سـلوك عـــــــــــــــــــــدونا ∴ فـإلى متـى يبقـى الكيـان مبعثـرا [٢]

فقوله: "فرق تسد"، "مصطلح سياسي عسكري اقتصادي ويعني: تفريق قوة الخصم الكبيرة إلى أقسام متفرقة ليصبح أقل قوة وهي غير متحدة مع بعضها البعض مما يسهل التعامل معها، كذلك يتطرق المصطلح للقوى المتفرقة التي لم يسبق أن اتحدت، والتي يراد منعها من الاتحاد، وتشكيل قوة كبيرة يصعب التعامل معها"[٣].

---

(١) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال – أبو عبيد البكري – ص٢٩٨ – حققه وقدم له د/ إحسان عباس – عبد المجيد عابدين – دار الأمانة – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثالثة.

(٢) فيض الشجون – ص١٧.

(٣) الشبكة العنكبوتية arwikpedia org/wiki.

الموسيقى

للموسيقى في الشعر أهمية عظيمة، فهي من الأمور التي تميز الشعر عن النثر، وهي في الشعر تتمثل في الوزن والقافية، إضافة إلى الإيقاع الداخلي، والتوافق الموسيقى بين الكلمات.

وهي إحدى المقومات الفنية الضرورية له، وإحدى خصائصه البنيوية الأساسية التي تميزه عن غيره، وهي التي تحمل مضمونه وتحقق غايته من التأثير وإثارة العواطف والانفعالات.

ونظرا لأهميتها فقد بحث العلماء في مفهوم الموسيقى الشعرية، ولعل أبرز ما نجده من ذلك قول الدكتور "إبراهيم أنيس": "وللشعر نواح عدة للجمال، أسرعها إلى نفوسنا ما فيه من جرس الألفاظ، وانسجام في توالي المقاطع، وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر"(١).

وتذهب "اليزابيث دروا" إلى قريب من هذا عندما بينت أن كلمة "موسيقى" "التي تستعمل في الشعر لا تعني أكثر من حلاوة الجرس، لأن الجرس في الشعر لا يصور شيئا سوى المعنى، وبهذا فإننا نستطيع القول إن الموسيقى الشعرية تتمثل في جرس الألفاظ، وتتابع مقاطع الكلام وتواليها على مسافات زمنية متساوية، وفق نظام خاص ونسق معين، مضافا إلى ذلك تردد القوافي وتكرارها مما يكسب النص إيقاعا ذا أثر عظيم في النفس"(٢).

وتنقسم الموسيقى الشعرية قسمين هما: الموسيقى الخارجية، والموسيقى الداخلية.

---

(١) موسيقى الشعر – ص٤٠ – دار القلم للطباعة – بيروت – الرابعة – سنة ١٩٧٢م.

(٢) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه – اليزابيث دروا – ترجمة/ محمد إبراهيم الشوس – ص٢٧ مكتبة منيمنة – بيروت – سنة ١٩٦١م.

أولا: الموسيقى الخارجية:

وهي الموسيقى التي تتمثل في الوزن والقافية، فهي موسيقى العروض أي البحور المعروفة التي تضبط العروض.

والوزن والقافية عنصران أساسيان في القصيدة العربية، فالوزن هو "مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت والبيت في القصيدة العربية هو الوحدة الموسيقية لها"[١].

والقافية هي: "آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن"[٢] ويلخص الدكتور "عز الدين إسماعيل" أهمية الوزن والقافية بقوله: "الوزن والقافية – بعيدا عن أي مذهب جمالي خاص – هما عصب الشكل الشعري، هما الصفة الخاصة التي قلنا إنه لا بد من توافرها حتى يكون الكلام المشكل أمامنا شعرا وليس مجرد كلام، فالشعر كائنا ما كان مذهبنا الجمالي لابد أن يتوفر على الوزن والقافية"[٣].

وبالنظر في شعر "بظاظو" وجدته قد حرص على التزام أوزان الخليل في الشعر الاجتماعي، وباستقراء نتاجه في هذا المجال وجدت له ما يقرب من "٤٦٠" بيتا في "٣٠ قصيدة، وزعت بالنسب التالية على البحور الشعرية .

ويأتي في المقدمة بحر الكامل التام بنسبة ٥٠%، بليه البسيط التام بنسبة ٤٧%، ثم الطويل بنسبة ٣%.

وبالنظر في هذه البحور ونسبها يتضح أنه قد آثر البحور التقليدية القديمة

---

(١) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال – ص٤٦٨ – دار الثقافة – بيروت – سنة ١٩٧٣م.

(٢) العمدة – ابن رشيق – ت/ محيي الدين عبد الحميد – ١٥٣/١ – دار الجيل – بيروت – سنة ١٩٧٣م.

(٣) الشعر العربي المعاصر "قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية" – ص٨٠ – دار الفكر العربي القاهرة – الثالثة – سنة ١٩٦٦م.

وبخاصة البحور الطويلة، لأنه وجد فيها فرصة للتحليل والتفصيل وعزف على الأوتار التي عزف عليها القدامى والمحافظون، مما يؤكد روح الأصالة غير المتطلعة إلى استخدام شكل موسيقى جديد كإرسال الشعر أو تحريره من بعض القيود الموسيقية، أو تنويع للوزن في القصيدة الواحدة.

فقد وهبه المولى – سبحانه وتعالى – موهبة موسيقية بارعة جعلته يعني بالموسيقى في اختيار الأوزان المناسبة لموضوعاته والتي تؤثر في نفوس المتلقين.

أما القافية: فقد تفردت دون سائر وحدات البيت الموسيقية بمنزلة خاصة لدى العروضيين، فأفردوا لها درسا خاصا لما لها من أهمية وفائدة إيقاعية في البيت الشعري فهي؛ نهايته، وهي قراره الموسيقي، وحروفها كثيرة تراعى في جميع أبيات القصيدة.

ومن أجل ذلك جعلها بعض الباحثين علما قائما بذاته، وأطلق عليه "علم القافية" وقال عنه: "هو العلم الذي تعرف به أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون، ولزوم وجواز، وفصاحة وقبح، فهو العلم الذي يبحث عن حروف القافية وحركاتها وما يجب لها من لوازم وما يعرف لها من عيوب، وموضوعه لذلك: هو آخر الأبيات الشعرية من حيث ما يعرض لها"[1] والقافية عند الخليل هي: "آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة قبل الساكن".

وعند "الأخفش"" "آخر كلمة في البيت"، وعند "ابن كيسان": "كل شيء لزمت إعادته آخر البيت"، وقال "قطرب": "القافية الحرف الذي تبنى عليه وهو ما يسمى رويا".

وقد اختار "ابن جني" من هذه الآراء رأي الخليل وقال: "والذي يثبت

---

(١) العروض القديم "أوزان الشعر العربي وقوافيه" – د/ محمود علي السمان – ص٢١٤ / دار المعارف – سنة ١٩٨٤م.

عندي صحته من هذه الأقوال هو قول الخليل"[1].

ونظرا لما لها من الأهمية أثرنا أن نخصها باستقراء يوضح إلى أي مدى استخدم الشاعر في شعره الاجتماعي حروفا بعينها واجتنب حروفا أخرى.

وعند الاستقراء وجدنا أن قوافي شعره كان أكثرها في المرتبة الأولى حرف "الراء" فقد تكرر ٨ مرات بنسبة ٢٧%، يليه حرف النون تكرر ٤ مرات بنسبة ١٣% لكل منهم، يليهما حرف الدال الذي تكرر مرتين بنسبة ٧% تقريبا، وقد ذكر الكاف والهمزة مرة واحدة لكل منهم بنسبة ٣%.

وهناك قواف لم تستخدم في شعره الاجتماعي قاطبة وهي: "التاء، والثاء، والجيم، الحاء، والخاء، والذال، الزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، واللام، والواو، والياء.

فاستخدام ثمانية حروف ولم يستخدم عشرون حرفا، ومعظم القوافي المستخدمة من القوافي الزلل التي أكثر الشعراء القدامى من استخدامها، فحقق لقوافيه التمكن وقوة الشاعرية والمقدرة الفنية.

عيوب القافية:

يقع الشعراء في بعض العيوب التي تختص بالقافية، وهذه العيوب تحدث من خلل يتعلق بجوهر الكلمة في القافية، أو يتصل بحركات حروفها، فإذا بها نابية عن الذوق، أو ثقيلة على السمع "نتيجة لتهافت يدل على أن الشاعر غير آبه بقوله، ولا ملتفت لمسئوليته، كتكرار كلمة بمعنى واحد دون أن يمضى على ذكرها ما ينسيها، أو اختلاف حركة إعرابه، أو تنوع ما يراعى قبله من تأسيس وردف، ومن هنا ينزل الكلام عن درجة الشعر الذي يهز القلب ويحرك

(١) اللسان – قفا –، والعمدة ابن رشيق – ١٥٣/١ – ت/ محيي الدين عبد الحميد.

الوجدان، إلى منزلة النظم الذي هو موزون وكفى"[١].

وقد وقع في الشعر الاجتماعي عند "بظاظو" بعضا من هذه العيوب، ومنها:

الإيطاء:

والإيطاء هو: "إعادة كلمة الروى بلفظها ومعناها دون أن يفصل بينهما بسبعة أبيات على الأقل"[٢] وكلما قل "الفصل زاد الإيطاء قبحا، وإنما كان الإيطاء عيبا؛ لأنه يدل على ضعف موهبة الشاعر وقلة مادته اللغوية"[٣].

ومن الإيطاء عند "بظاظو" قوله في قصيدة "أكرم به من عاتب":

إن كنت من شرف الوداع حرمتني ∴ أفلا ذكرت لدى الوصول غيابي؟

وبعد ثلاثة أبيات قال:

قد ضمه صدري وقبله فمي ∴ مرحي حبيب جاء بعد غياب [٤]

فكلمة "غياب" في البيتين معناها واحد، ولفظها واحد، ولم يفصل بين البيتين بسبعة أبيات على الأقل.

وقوله في قصيدة "جراح القدس":

---

(١) بغية المستفيد من العروض الجديد – د/ إبراهيم على أبو الخشب – ص٨٢ – دار الفكر – القاهرة.

(٢) عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد – د/ أمين عبد الله سالم – ص١٩٠.

(٣) أوزان الشعر العربي وقوافيه – د/ عبد النعيم علي محمد – ص٢٩٣.

(٤) فيض الشجون – ص٤٢.

ولـئن بقينـا طـوع أمـر عـدونا ∴ فلعمــر ربــك لــن يطــول بقــاك

وبعد بيتين قال:

ولقـد أصـبت بـسكتة مـشؤومة ∴ ظنــا بأنــك قــد يطــول بقــاك (١)

فالقافيـة "بقـاك" معناهـا ولفظهـا واحـد فـي البيتـين، ولـم يفـصل بـين البيتـين بسبعة أبيات، ولم ينتقل الشاعر لغرض آخر، وهو من الإيطاء المعيب.

ومن عيوب القافية أيضا – عند "بظاظو".

الإكفاء:

والإكفـاء هـو: "اخـتلاف الـروى فـي القـصيدة الواحـدة بحـروف متقاربـة المخرج" وفي اللزوميات "وإذا اختلف الروى فكان مرة دالا، ومرة ذالا أو سينا، أو نحو ذلك من الحروف المتقاربة يسمى الإكفاء"(٢).

ومن الإكفاء عند "بظاظو" قوله في قصيدة "جراح القدس":

قـالوا: سـلام قلـت: خدعـة مـاكر ∴ وضــعت عقــول القــوم فــي إربــاك

خـدعوا بمعسول الكـلام رجالنـا ∴ وتــسلموا منــا الجــدار الــواقي (٣)

فقد جمع بين القاف والكاف روياوهما متقاربان مخرجا، وسمى هذا العيب بذلك لأن الشاعر قلب الروى عن طريقة المألوف، قال المعرى: "وإنما يوجد في

---

(١) السابق – ص١٣.

(٢) أوزان الشعر العربي وقوافيه – د/ إبراهيم محمد الإدكاوى – ص٢٩٦ – القاهرة – الأولى سنة ١٤١٦هـ.

(٣) فيض الشجون – ص١٣.

أشعار النساء والضعفة من الشعراء"[1].

وقوله في القصيدة نفسها:

أولـيس يكفـي فـي خـداع شـعوبنا ∴ مـا مـر مـن فـشل ومـن إخفـاق
الأمــر كــان هــم العــدو ومــالهم ∴ عنــد الأعــادي جــاهز لهــلاك

ثانيا: الموسيقى الداخلية:

والموسيقى الداخلية هي: الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حينا، أو بين الكلمات بعضها وبعض حينا آخر. وهي تنشأ من انجسام الحروف أولا، واتساق الألفاظ ثانيا، وهي ترتبط بالتأثيرات العاطفية للشاعر، وذلك لأن للجانب الصوتي أثرا واضحا في الكشف عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته وعواطفه ومشاعره.

وتكمن أهمية "الموسيقى الداخلية" في أنها ميدان للمفاضلة بين الشعراء وسبق بعضهم بعضا، لأنها موسيقى خفية تدل على قدرة الشاعر وتفرده. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يفصل في الشعر بين مهمة الموسيقى الداخلية والخارجية، فهما ملتحمتان، وتتنزعان نحو هدف واحد، حيث يخدم الإيقاع وتوافق الأصوات والقافية غاية واحدة هي: فتح أبواب الكلمة ونوافذها على مصراعيها، وإدخال القارئ في أعماقها الشعرية، فهما يتضافران على خلق جو موسيقى يواكب القصيدة العربية ويعبر عن روحها.

والموسيقى الداخلية عند "بظاظو" تنبع من أشياء عدة:

أولا: التصريع:

وهو أول ما يقرع الأسماع فينبئ عن منزلة القائل وقيمة الشعر.

والتصريع عند "بظاظو" في مثل قوله:

---

(١) أوزان الشعر العربي وقوافيه – د/ عبد النعيم علي محمد – ص٢٩٨.

يـــوم لعمـــري مـــشرق بـــسام ∴ وافـاك يـا "سـنهور" فيـه همـام [١]

وقوله:

جعلوا العصاة لرب العرش أحبابا ∴ وألبـسوهم مـن التقـديس جلبابـا [٢]

ثانيا: الاهتمام بالتقفية:

والتقفية هي: "تساوي نهاية الشطرين في التفعيلة والروى بدون زيادة أو نقص، والتصريع: تساويهما بإحداث زيادة أو نقص في العروض لتناسب الضرب"[٣].

ومن المطالع المقفاة عند "بظاظو" قوله:

سبحان من خلق المدائن والقرى ∴ وأعز شأن المتقين كما نرى [٤]

وقوله:

نعم الطبيب المداوي قد وجدناه ∴ جـــم المكـــارم وضـــاء محيـــاه [٥]

والاهتمام بالتقفية والتصريع في المطالع، يعطي القصيدة روح التراث القديم، ويضع قاعدة موسيقية ثابتة تتعود عليها الأذن وتتوقعها وهو مناسب للأجواء الخطابية.

---

(١) فيض الشجون – ص٣٩.
(٢) السابق – ص٢٠.
(٣) فن الموسيقى في الشعر العربي – د/ محمود السمان – ص٢٠٧ – ط/ كلية التربية – طنطا.

(٤) فيض الشجون – ص١٧.
(٥) السابق – ص٤٩.

ثالثا: الترصيع:

والترصيع هو: "توخي تسجيع مقاطع الأجزاء، وتصييرها متقاسمة النظم، متعادلة الوزن، حتى يشبه ذلك الحلى في ترصيع جوهره"(١).

وهو يكتسب جماله من ندرته وطواعيته فإذا كثر أو تكلفه الشاعر ثقل، لأن الإسراف في التجانس قبيح في الموسيقى والشعر، لذا كان "قدامة بن جعفر" على صواب في قوله: "إن الترصيع يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به، وإنه معيب إذا تواتر واتصل في الأبيات لأنه دال على التكلف والتعمد"(٢).

وقد جاء الترصيع عند "بظاظو" في مثل قوله:

يـا ربنـا، صـن عرضـنا، صـن ∴ صن شعبنا، كي لا يعيش مسخرا (٣)

وقوله:

هي مجدكم، هي عزكم، هي فخركم ∴ من ذا الذي يرضى لها التبديدا (٤)

وقوله:

صنها،وصـن عهـدها،واحفظ مودتهـا ∴ واسعد برفقتها، وافخر بأهليها (٥)

وقوله:

لـك حبنـا، لـك عهـدنا، ووفاؤنـا ∴ مـا أشـرقت شـمس وجـن ظـلام (٦)

---

(١) الوافي في العروض والقوافي – صنعه الخطيب التبريزي – ص٢٤٥ – تمهيد/ عمر يحيى – تحقيق/ د/ فخر الدين قباوة – دار الفكر – دمشق – السادسة – سنة٢٠٠٧م.

(٢) نقد الشعر – ت/ كمال مصطفى – ص٢٨ = ط/ مكتبة الخانجي – القاهرة – الأولى – سنة ١٩٤٨م.

(٣) فيض الشجون – ص١٧.

(٤)السابق – ص٤٥.

(٥)–نفسه ص٤٣.

(٦) نفسه – ص٢٠.

ومما لا شك فيه أن الترصيع يزيد الشعر موسيقى، لأن الأصوات تتكرر في البيت، مضافة إلى تكرار القافية والوزن، فتجعله شبيها بفاصلة موسيقية متعددة النغم.

العاطفة

للعاطفة دور كبير وأثر هام في التجربة الشعرية، فلولاها لمزج الشعر فكرا محضا، وانحدر من منزلة الشعر حتى صار نظما، كما نرى في نظم العلوم والنصائح التي تدل على الحقائق وحدها، كما في ألفية ابن مالك، و "الشاطبية" وغيرها.

والعاطفة مقرها القلب، وقد يعبر عنها بالوجدان، وهي التي تثير الخيال، وتبدع الصور الجزئية والكلية.

ويشترط في العاطفة "أن تكون صادقة حتى تؤثر في القارئ والسامع ومن يقف أمام النص الأدبي. يقول الزهاوي:

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه ∴ فليس جديرا بأن يقال له شعر (١)

ولقد اختلفت عاطفة "بظاظو" وتلونت حسب الموضوعات التي عالجها. فعندما يتحدث عن هموم الأمة، نجد العاطفة الصادقة التي تستنهض الأمة من كبوتها، وتدعوها إلى الوحدة ونبذ الفرقة. يقول:

يا أمة القرآن لا تتفرقوا ∴ فكفى خلافا بيننا وكفاك

عودوا إلى القرآن واعتصموا به ∴ وتماسكوا وادعوا للاستمساك

فبدون وحدة صفكم لن تنصروا ∴ فإذا جهلت فأنت ما أشقاك

وتبدو عاطفة السخط والغضب عندما يصور ما فعله اليهود من الهدم والقتل والتدمير، يقول:

ماذا دهاك وما الذي يغشاك؟ ∴ يا أرض الاستشهاد نحن فداك

إن اليهود استأسدوا وتنمروا ∴ في ظل كل منافق أفاك

---

(١) في محيط النقد الأدبي – د/ إبراهيم علي أبو الخشب – ص١٠١ – ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٥م.

هدموا البيوت ودمروا وتبجحوا ∴ مستهزئين بكل من واساك
قتلوا الألوف كأن شيئا لم يكن ∴ أكذا يهان الحر فوق ثراك؟ (١)

وتتضح عاطفة السخط والغضب في هذه الأبيات التي يخاطب فيها طائفة "النمامين" الذين يسعون للتفرقة بين الناس، يقول:

وأطل أهل السوء من أوكارهم ∴ في ثوب من هم ناصحون عظام
باسم النصيحة ينفثون سمومهم ∴ ويروجون الشر حيث أقاموا
نصحوا فما صدقوا وساء صنيعهم ∴ وتفرق الأبناء والأعمام
وإذا القلوب على الصفاء تعارفت ∴ وتقاربت مستهم الآلام
وإذا تراهم أعجبتك جسومهم ∴ والثغر منهم ضاحك بسام (٢)

وتبدو عاطفة "الأسى والحسرة" من تفكك المجتمع وانحلال عراه بسبب الخلافات العائلية وصراع المصالح عندما يقول:

مضت الشهور ومرت الأعوام ∴ وبنو المدينة في البيوت نيام
فإلى متى سيظل يحكمنا الهوى ∴ وتسودنا الأحقاد والأوهام؟
من حولنا كل البلاد تقدمت ∴ ورجالنا عن حقهم قد ناموا
"سنهور" أنت الآن أضعف قرية ∴ مع أن أهلك طيبون كرام
ضعفت قيادتها فساء مصيرها ∴ وغدت كأن رجالها أيتام
قالوا خلاف أصله عمدية ∴ من أجلها افترق الجميع وهاموا (٣)

---

(١) فيض الشجون – ص١٣.
(٢) السابق – ص٢٩.
(٣) فيض الشجون – ص٣٠.

وتظهر عاطفة "الإعجاب والفخر" عندما يتحدث عن تاريخ الأمة الإسلامية في إبان عزها ومجدها، فيقول:

هيا اقرءوا تاريخنا وتعلموا ∴ منه البطولة والجهاد الأكبرا
إيماننا بالله سر بقائنا ∴ وبغير وحدة صفنا لن ننصرا (١)

وكذلك عندما يتحدث عن الأزهر المعمور موئل الفصحى، وعلم الهدى، وحصن الدين وملاذه، وذلك في قوله:

والأزهر المعمور طود شامخ ∴ هو للشريعة حارس وإمام
هو في حياة المسلمين منارة ∴ شهدت بحسن صنيعه الأعوام
هو للمهندس والطبيب موجه ∴ هو للبلاد منارة ووسام (٢)

وتبدو روح الفخر والإعجاب عندما يصور جهاد المسلمين وانتصارهم في حرب العاشر من رمضان عام ١٩٩٣م.

عبروا نهاراها تفين بربهم ∴ يا رب أنت الناصر القهار
الله أكبر صيحة دوى بها ∴ صوت الجنود فدمروا وأغاروا
دكت مدافعهم حصون عدوهم ∴ فتحررت أرض وعز جوار (٣)

وتبدو عاطفة الوفاء في رثائه للشيخ "بسيوني خطاب" صديق عمره،

---

(١) نفسه – ص١٧.
(٢) نفسه – ص٢٠.
(٣) فيض الشجون – ص٢٧.

وزميل دراسته، وذلك في قوله:

يا عالما فاق في علم وفي خلق ∴ يا عابدا قاد أفواج المصلينا

الحق مبدؤه، والله غايته ∴ إيمانه قوة كانت تغذينا

يدعو إلى الله والتوفيق يصحبه ∴ ويكشف الزيف لا يخشى الشياطينا

بالله ذكرنا، بالدين مسكنا ∴ وبالجهاد وحب الحق يوصينا (١)

من خلال هذه النماذج اتضح أن عاطفة "بظاظو" اتسمت بالصدق والقوة والتنوع تبعا للموقف الذي يقف إزاءه، وللحالة النفسية التي يعيشها.

---

(١) السابق – ص٣٠.

التصوير الشعري

الصورة الشعرية هي اللغة التي تحول الأشياء المجردة إلى أشياء محسوسة، بالإضافة إلى العلاقات اللغوية التي يستخدمها الأديب لخلق معنى جديد يظهر المبدع من خلاله مدى قدرته الإبداعية، حين يحاول إخراج الكلمة من معناها المعجمي الضيق إلى معنى أرحب عن طريق العلائق الجديدة بعضها وبعض، بحيث تبعث الحيوية والحركة، وتكسر الجمود والرتابة، فغاية الصورة "أن تترك في النفس انطباعا جميلاً مبهما أشبه بما يتركه منظر من مناظر الوجود الرائعة في نفس الإنسان"(١).

بمعنى أن الصورة بنيت على أساس حسى ومنظور، "فمدركات الحس هي المادة الخام التي يبني بها الشاعر تجاربه، ولا يعني الانحصار في إطار حاسة بعينها، ولا تعني محاكاة الإحساس بشكل عام، فهذا يجعلها أشبه بالمحاكاة الروتينية، إنما هي محتوى لفكر يتركز فيه الانتباه على خاصية حاسة ما، فالصورة. ليست نسخة مادية، أو انعكاسا حرفيا لشيء من الأشياء"(٢).

ومما لا شك فيه أن الصورة تؤدي دورا مميزا في اللغة الشعرية، نظرا لما تبعثه من حيوية وحركة قد تقصر اللغة – في إطارها العادي -عن أدائها.

فقدرة الصورة على الربط بين المتماثل والمتضاد من المعاني، وخلق علاقات بينهما أضفى على اللغة بعدا أعمق، فالتصوير "ينطق الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجتمعين"(٣)، ولأن الصورة الشعرية "خلق

---

(١) الصورة في شعر بشار – عبد الفتاح صالح نافع – ص٧٩ – دار الفكر للنشر والتوزيع – عمان سنة ١٩٨٣م.

(٢) شعر المتنبي دراسة فنية – د/ مصطفى أبو العلا – ص٣١٧ – نشر مكتبة نهضة الشرق سنة ١٩٧٦م.

(٣) أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – ت – هـ – ريتر – ص١١٨ – دار المسيرة – بيروت – الثالثة سنة ١٩٨٣م.

جديد لعلاقات جديدة في طريقة جديدة من التعبير"[1]،

و الشاعر الفذ هو الذي يستطيع بقوة ملكته الشعرية أن يتقن تصويره في عرضه لتجاربه، مهما كانت تلك التجارب، قديمة أم جديدة، مفيدة أم ليست ذات غناء، فنبوغه ودقة تصويره وإحكامه للعلاقات القائمة بين ألفاظه ومعانيه تجعلنا وكأننا نطلع على تلك الصور للوهلة الأولى.

وحين نبحث عن الصورة في الشعر الاجتماعي عند "محمد بظاظو"، نجد أن تعبيره جاء تقريريا ومباشرا وبسيطا، تقل فيه الصور بشكل ملحوظ، ومرد ذلك – في نظري – إلى الأمور الآتية:

أولا- شخصية الشاعر التي تتسم بالتلقائية والبساطة وعدم التكلف.

ثانيا- دراسته الشرعية وطبيعة الحياة الشاقة التي خاضها عبر السنين الطويلة، جعلت أسلوبه انعكاسا لشخصيته التي تشكل بها.

ثالثا- تميزه بالواقعية جعلت الخيال لا يسمح أن يسيطر على تفكيره أو يتدخل في تشكيله، والصور تبني غالبا على الخيال، فهو عنصرها الفعال الذي يكسوها عمقا وإبهارا وجمالا.

رابعا- غلبة الأسلوب الخطابي على شعره جعل صوره تشبيهية تقليدية لا جدة فيها إلا نادرا.

خامسا- توظيف الشاعر لشعره في المناسبات والتهنئة أضعف الصورة كثيرا عنده.

وهكذا تميزت صوره بأنها قريبة مألوفة سهلة التناول، يندر فيها العمق، فضلا عن الغرابة أو الغموض، ومن هذه الصور:

الصورة المستمدة من القرآن الكريم، وذلك كقوله:

---

(١) فن الشعر – د/ إحسان عباس – ص٢٦٠.

وأطل أهل السوء من أوكارهم ∴ في ثوب من هم ناصحون عظام

باسم النصيحة ينفثون سمومهم ∴ ويروجون الشر حيث أقاموا (١)

يصور الشاعر فئة المنافقين الكذابين ذوي الوجوه المتعددة، الذين يقسمون للناس أنهم يريدون الخير لهم، وإذا تواروا عنهم فهم الثعابين والعقارب، وهؤلاء الأفاكون صورهم المولى – سبحانه وتعالى – في قوله عز شأنه: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}**(٢).

وقوله:

المرء ليس يموت إلا مرة ∴ والعيش في ثوب المذلة عار (٣)

يتحدث الشاعر عن انتصار المسلمين في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ، ويعرج على حالة المسلمين قبل المعركة، ويبين أن الموت في سبيل الله تعالى خير وأشرف من العيش في ثوب المذلة، وهذا يذكرنا بقوله تعالى: **{فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}**(٤).

وهناك الصورة التي اعتمد فيها على المضمون القديم، من مثل قوله:

لدغوا من الحجر الذي وثقوا به ∴ إن يلدغوا لن يظفروا بحراك (٥)

فهو يقصد الأمة العربية حين وثقت بعدوها وصدقته، وهذا يذكرنا بالمثل العربي القديم: "يؤتى الحذر من مأمنه".

ومن الصور القليلة التي اعتمد فيها على الخيال، قوله عن أحد أصحاب

---

(١) فيض الشجون – ص٢٩.
(٢) البقرة (٢٠٤ – ٢٠٦).
(٣) فيض الشجون – ص٢٧.
(٤) من الآية رقم (١١٢ من سورة النحل).
(٥) فيض الشجون – ص١٣.

الأضرحة في قريته ويدعى "ابن هارون":

ولقد دخلت ضريحه فوجدته ∴ قلقا يكاد لطردهم أن يظهرا

ورأيته من رقصهم متألما ∴ يدعو عليهم أسفا متضجرا (١)

فالرجل الصالح يستنكر الرقص والمجون الذي ينسب إليه، ويخترق الشاعر بخياله حجب المادة، وينفذ إلى لقطة من عالم البرزخ، يرى فيها صاحب الضريح متألما، يكاد يخرج على الدجالين شاهرا سيفه، صارخا فيهم: كفى ضلالا (٢).

وقوله:

لو كنت بالمال تشري لاشتروك ∴ كم ساوموك فلم تظهر لهم لينا

سلوا المساجد تنبيكم بما سمعت ∴ صوت من المغيب نحو الحق يهدينا

رواد مسجد عمروإن منبركم ∴ يبكي فقيد التقى شيخ المطيعينا

سلوا المنابر عنه تسمعوا عجبا ∴ حرب أخافت جميع المستبدينا (٣)

هم شردوه فلم يرهبه ما صنعوا ∴ ما شئتموا فافعلوا فالله يحمينا

فجاء التشخيص والاستعارات المكنية المتوالية لتدل على الطهر والعفة والأمانة التي كان يتمتع بها الشيخ "بسيوني خطاب".

ونلحظ – كذلك – الترابط بين أجزاء الصورة عند "شاعرنا" ولنأخذ لذلك مثلا قوله عن الأزهر:

بالخيل داسوا أرضه وتخيلوا ∴ إسكاته بالمنطق المغرور

---

(١) السابق – ص١٧.

(٢) نفسه – ص٨٩.

(٣) فيض الشجون– ص١٣.

فـإذا كليبـر هـم يبيـت مجنـدلا ∴ فـي الطين يحكى صرخة المقهور

يصور الشاعر كفاح رجال الأزهر على مر العصور، ويعرض لموقفه في أثناء الحملة الفرنسية عندما دخل "نابليون" ورفاقه الجامع الأزهر بخيولهم ولوثوه بأقدامهم، فكان الثأر السريع لكرامة الإسلام والأزهر حين جندل المسلم الثائر "سليمان الحلبي" "كليبر" قائدهم الثاني، ومرغ في التراب أنف المعتدين.

فكان قتل قائدهم هو الثأر والمعادل الضروري الطبيعي لدخولهم الجامع الأزهر بخيلهم، وجاءت "فإذا" في البيت الثاني لتربط بين البيتين ربطا محكما، وترتب الثاني على الأول ترتب النتيجة على المقدمة، وفي "يبيت" إيحاء للتدبير من جهة، والإهانة من جهة أخرى، فالمبيت للمحتلين يوحى بحراسة لا تخترق، وذكر "الطين" يزيد الإهانة، ويكسوا المشهد خزيا وندامة"[٢].

وقوله:

لمـا رأوك بحبـل الله معتمـصا ∴ تهـدي وترشـد آلاف المريـدينا

قالوا دعوه ودوروا حول ساحته ∴ فكـم لـه مـن عظـات أثـرت فينـا

مـا دام يـؤثر ألا يـستجيب لنـا ∴ إن يلـزم البيـت هـذا منـه يكفينـا

فالترابط بين أجزاء الصورة جعل أبياتها متماسكة متنامية يؤدي بعضها إلى بعض في التفكير والمشاعر.

ومن الصور التي أراها – في نظري – جديدة، قوله عن خطة العدو مع العرب:

زرعوا الخلاف بها فساء مصيرها ∴ وتعرضـت للـضعف والإنهـاك [٣]

فالتعبير بقوله: "زرعوا الخلاف" تعبير جديد، يوحي بخطة العدو التي

---

(١) السابق– ص٢٤.

(٢) نفسه– ص٨٨.

(٣) فيض الشجون– ص١٥.

تعتمد على منطق "فرق تسد"، ويعمل دائما على تغذيتها وتنميتها والنفخ فيها كلما قاربت على الموت، ليظل العدو سيد القرار، والعرب على خلاف دائم، فتسهل السيطرة عليهم.

ومن الصور الرائعة عنده، قوله:

علم غزير ونور أنت مصدره ∴ والبدر أنت إلى العلياء تهدينا

البدر أرقى ومنه النور مقتبس ∴ من يلحق البدر من بين المجدينا (١)

فالشاعر يستخدم من اسم ممدوحه "ممدوح بدر" الذي ترقى في عمله وسيلة ليربط بينه وبين البدر ويوظف صورته توظيفا رائعا، فالبدر يهدي بنوره الحائر في الظلام، وممدوحه يهدي الجاهل بعلمه وجده وتفوقه، وإذا كان البدر لا يستطيع أحد من الناس أن يصل إليه لعلوه ومكانته، فكذلك لن يستطيع أحد أن يلحق بممدوحه لجده وتفوقه.

وقوله:

وما دروا أن هذا الصمت أكسبه ∴ حب الجماهير في أعماق وادينا

إن يمنعوه فقد أدى رسالته ∴ ورب صمت علا صوت المنادينا (٢)

فعندما رأى المسئولين أن خطب الشيخ "بسيوني خطاب" خطر على أمن الدولة، قرروا إحالته على المعاش وتحديد إقامته في بيته، وما فطنوا أن هذا الصمت قد زاد حب الناس له أكثر مما كان "ورب صمت علا صوت المنادينا".

---

(١) السابق– ص٣٧.

(٢) فيض الشجون – ص٣٠.

الوحدة العضوية

والوحدة العضوية كما عرفها النقاد المحدثون هي: "وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك في ترتيب الأفكار والصور ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر"[١].

والوحدة العضوية من معالم التجديد في الشعر العربي الحديث، وكان "خليل مطران"[٢] أول من نبه إليها ودعا الشعراء إلى تطبيقها فى قصائدهم. والشاعر "محمد بظاظو" من الشعراء الذين عنوا بتطبيق الوحدة العضوية في أشعارهم ، خاصة الشعر الإجتماعى موضوع الدراسة ، ولنأخذ لذلك مثلا قصيدته " وكم شكونا فما أصغى الزمان لنا"، والتي يتحدث فيها عن زيارة أحد المسؤولين إلى قريته، وفيها يشكو له من تجاهل المسؤولين عن تقديم كثير من الخدمات لأهل قريته، في الوقت الذي قدمت فيه الخدمات لكثير من القرى المجاورة لقريته.

يبدأ الشاعر قصيدته بتحية الضيف الزائر قائلا:

"سنهور" أشرق فيها نور طلعتكم ∴ ورفرف البشر فوق الناس والدور

وقال قائلهم أهلا ومرحبة ∴ بمن سعدنا به في أرض "سنهور"

ثم يبدأ في عرض ما يريد قائلا:

إني أحييه من قلبي وأشكره ∴ باسم المئات الأُلى حرموا من النور

بالكهرباء أضاءوا كل منطقة ∴ من حولنا وتناسوا أهل "سنهور"

---

(١) النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال – ص٣٧٣.

(٢) السابق – ص٣٧٤.

ثم يبين أنهم قد تقدموا بشكاوى إلى كثير من المسؤولين من أجل دخول المياه والكهرباء إلى قريته ولكن لا حياة لمن ينادى.

وكم شكونا فما أصغى الزمان لنا ∴ حتى خطرت هنا يا مشرق النور

ثم يشيد بهذا المسئول الذي أنجز كثيرا من الخدمات في القرى المجاورة، وفي النهاية يطالب المسؤولين جميعا أن يهتموا بالشباب، ويقيموا نهضتهم على العلم والإيمان، ويحاربوا الضعف والخذلان، ويتمسكوا بالإخلاص وينصروا الرحمن ينصرهم.

إن تنصروا الله بالإخلاص ينصركم ∴ ويمنح الأرض شعبا غير مقهور [1]

ويمكن أن نقول: إن الوحدة العضوية تحققت – إلى حد كبير – في الشعر الاجتماعي عند "محمد بظاظو"، ومرد ذلك – في نظري – إلى أن الشاعر من شعراء الرعيل الأول في العصر الحديث الذين حافظوا على القصيدة العربية في بنائها وعموديتها، يضاف إلى ذلك قصر قصائد الشعر الاجتماعي التي يتراوح عدد أبيات قصائده بين ستة أبيات وتسعة عشر بيتا في القصيدة الواحدة.

---

(١) فيض الشجون – ص٤١.

خاتمة نسأل الله تعالى حسنها

بعد تلك الجولة العلمية التي دارت حول الشعر الاجتماعي عند الشاعر "محمد إبراهيم بظاظو"، نستطيع أن نحكم على هذا النوع من الشعر بأنه جدير بعناية الباحثين واهتمامهم.

وأما أهم النتائج التي توصل البحث إليها فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا- أبان البحث عن المرجعية الإسلامية التي صدر عنها الشاعر في دعوته إلى إصلاح مجتمعه، والأخذ بأيدي أبنائه وتوجيههم الوجهة الصحيحة في حياتهم.

ثانيا- إن الشعر الاجتماعي شعر بناء يسعى إلى إيجاد مجتمع ناهض خال من العيوب والأدواء تسمو فيه القيم والمبادئ والمثل التي أرستها المبادئ الإسلامية الغراء، وشريعتها السمحة.

ثالثا- اهتمام الأزهر الشريف بتكوين المقدرة البيانية والحس الشعري لدى أبنائه، لا يقل عن اهتمامه بعلوم الشريعة وأصولها.

رابعا- غلبة الإيقاع الخطابي الرنان على معظم القوالب الموسيقية التي وظفها الشاعر في حمل مضمونه الفكري ورؤيته الاجتماعية.

خامسا- حافظ الشاعر على موروثات الشعر العربي من وزن وقافية وعاطفة وتراكيب، ولم ينجرف مع التيارات الوافدة التي تسلب الشعر العربي روعته وجماله.

سادسا- جودة معظمه وتفوقه فنيا في أسلوبه وصوره.

سابعا- وضع الشاعر عنوانا لكل قصيدة عبر عن معانيها وأفكارها.

ثامنا- لم يحفل الشاعر كثيرا بالمحسنات البديعية إلا ما وقع لما ما لتوضيح المعنى وتزيينه بلا تكليف.

تاسعا- ظهور معالم شعر العلماء بصورة بارزة في شعره.

وختاما: فقد بذلت جهدي وطاقتي في هذا البحث المتواضع، فإن وفقت لما هدفت إليه، فبفضل الله تعالى على وحسن توفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبي أننى لم أدخر جهدا ولا وقتا في سبيل إنجازه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحـــث

المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا- المصادر والمراجع:

١- أسرار البلاغة – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق/ هـ - ريتر – دار المسيرة – بيروت – الثالثة – سنة ١٤٠٣هـ - سنة ١٩٨٣م.
٢- أسس النقد الأدبي عند العرب – د/ أحمد بدوي – دار نهضة مصر للطبع والنشر – سنة ١٩٧٩م.
٣- أوزان الشعر العربي وقوافيه – د/ إبراهيم محمد الإدكاوى – القاهرة – الأولى – سنة ١٤١٦هـ - سنة ١٩٩٦م.
٤- أوزان الشعر العربي وقوافيه – د/ عبد النعيم علي محمد – القاهرة – سنة ١٩٨٧.
٥- بغية المستفيد من العروض الجديد – د/ إبراهيم علي أبو الخشب – دار الفكر – القاهرة – الأولى.
٦- ديوان حافظ إبراهيم – ت/ أحمد الزين وآخرين – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.
٧- ديوان فيض الشجون – محمد إبراهيم بظاظو – جمع ودراسة – د/ محمد محمد إبراهيم بظاظو القاهرة – الأولى – سنة ١٤٢٣هـ - سنة ٢٠٠٢م.
٨- الشبكة العنكبوتية arwikedia org/ wiki.
٩- الشعر العربي المعاصر "قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية – د/ عز الدين إسماعيل- دار الفكر العربي – القاهرة – الثالثة – سنة ١٩٦٦م.
١٠- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه – اليزابيث دروا – ترجمة / محمد إبراهيم الشوس – مكتبة منيمنة بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر – بيروت – نيويورك – سنة ١٩٦١م.
١١- شعر المتنبي دراسة فنية – د/ مصطفى أبو العلا – نشر – مكتبة نهضة الشرق – سنة ١٩٧٦م.
١٢- الشوقيات – أحمد شوقي – مكتبة التربية – بيروت – سنة ١٩٨٧م.
١٣- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بليان – الأمير/ علاء الدين علي بن بليان الفارسي حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت الثالثة – سنة ١٤١٨هـ - سنة ١٩٩٧م.
١٤- الصورة في شعر بشار – عبد الفتاح صالح نافع – دار الفكر للنشر

والتوزيع – عمان – سنة ١٩٨٣م.
١٥- عروض الشعر العربي بين التقليد والتجديد – د/ أمين عبد الله سالم – مطبعة منجد الحديثة بنها – الأولى – سنة ١٩٨٤م.
١٦- العروض القديم "أوزان الشعر العربي وقوافيه" – د/ محمود على السمان – دار المعارف – سنة ١٩٨٤م.
١٧- علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي – د/ مصطفى شاهين – الأولى – سنة ١٩٩١م.
١٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني – ت/ محيي الدين عبد الحميد دار الجيل – بيروت – الرابعة – سنة ١٩٧٢م.
١٩- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال – أبو عبيد البكري – ت د/ إحسان عباس عبد المجيد عابدين – مؤسسة الرسالة – بيروت – الثالثة – د.ت.
٢٠- فن الشعر – د/ إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – الثالثة.
٢١- فن الموسيقى في الشعر العربي – د/ محمود علي السمان – مكتبة كلية التربية – طنطا – د.ت.
٢٢- في محيط النقد الأدبي – د/ إبراهيم علي أبو الخشب – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٨٥م.
٢٣- في نقد الشعر – د/ محمود الربيعي – دار المعارف – الثالثة – د.ت.
٢٤- القاموس السياسي – أحمد عطية الله – دار النهضة المصرية – الثانية – سنة ١٤٠٦هـ - سنة ١٩٨٦م.
٢٥- الكليات – أبو البقاء الكفوى – مؤسسة الرسالة – بيروت – الأولى – سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٦- لسان العرب – ابن منظور – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الثانية سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨.
٢٧- المجتمع والأسرة في الإسلام – د/ محمد طاهر الجوابي – دار عالم الكتب – الرياض – الثالثة سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٨- المسند – أحمد بن حنبل – إشراف د/ سمير طه المجذوب – إعداد/ محمد سليم إبراهيم سمارة وآخرون – المكتب الإسلامي – بيروت – الأولى – سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٩- مناهج البحث الأدبي – د/ سعد عبد المقصود ظلام – مطبعة الأمانة – القاهرة.
٣٠- موسيقى الشعر – د/ إبراهيم أنيس – دار القلم للطباعة – بيروت – الرابعة – سنة ١٩٧٢م.
٣١- النقد الأدبي – سيد قطب – دار الشروق – سنة ١٩٨٣م.

٣٢- النقد الأدبي الحديث – د/ محمد غنيمي هلال – دار الثقافة – بيروت – سنة ١٩٧٣م.
٣٣- نقد الشعر – قدامة بن جعفر - ت/ كمال مصطفى – مكتبة الخانجي – القاهرة الأولى – سنة ١٩٤٨م.
٣٤- الوافي في العروض والقوافي/ صنعه/ الخطيب التبريزي – تمهيد/ عمر يحيى تحقيق/ د/ فخر الدين قباوة – دار الفكر – دمشق – السادسة – سنة ٢٠٠٧م.

ثالثا – مقابلات شخصية

١- مع الشاعر/ محمد إبراهيم بظاظو – بتاريخ ٢٠١٣/١/٢٥م.
٢- مع الدكتور/ محمد محمد إبراهيم بظاظو بتاريخ ٢٠١٣/٢/٢٥م.

الصـــورة اللونيـــــة
فـــي
شعر ضياء الدين رجب

دكتور
خالد طلعت عبد الفتاح الخولـي
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالمنصورة
قسم الأدب والنقد

الملخــص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الصورة اللونية في شعر الشاعر السعودي "ضياء الدين رجب" باعتبار أن اللون عنصر من عناصر الصورة الفنية، متخذًا من دواوينه [زحمة العمر – سبحات – رثاء] نموذجاً لهذه الدراسة، وقد قامت هذه الدراسة على استجلاء ثلاثة ألوان كانت الأكثر توظيفًا عند الشاعر دون غيرها، هذه الألوان هي على الترتيب : [الأبيض ثم الأحمر ثم الأسود] فضلاً عن الدلالات المتعددة التي أثْرت النص الشعري، وكشفت المزيد من الإيحاءات النفسية والفكرية والثقافية، في محاولة للكشف عن قيمها الفنية ودلالتها الجمالية .

* * *